الظلم وأنواعه

عرّف الكثير الظلم بأنه وضع الشئ في غير موضعه ، وهو تعريف خفي . والأحسن أن يعرّف بأنه : خروج الشخص في تصرفه عما حدّ له .

في الناس من طبعه العدوان ، ومنهم من دأبه الجشع ، وآخرون عادتهم الغضب ، وغير ذلك من الرذائل التي جاءت من عدم اعتدال القوة المودعة فيهم .

فلا جرم كانت هذه الرذائل مع تزاحمهم على المطالب سبباً في مجاوزتهم الحد واستطالة بعضهم على بعض بالشتم والضرب ، والسلب والنصب ، والقتل والغصب ؛ وغير ذلك من الأمور التي يأباها العقل والقانون .

وأول من يصيب الظالم بظلمه نفسُه التي بين جنبيه ، فإن الشرور التي تخالج قلبه ، وتخامر نفسه ، تضره قبل أن تصير شروراً بالفعل تصلُ إلى الغير ويجد ألمها ؛ على أن بعض الظلم يكون قاصراً على الظالم ، لا يصل إلى غيره منه ضرر .

والظلم أمر قبيح سيئ العاقبة ، وأنواعه كثيرة :

فمنها ظلم الحاكم للأمة ، وأدناه ألاّ يقلع عما فيه من الرذائل ، فإن كل رذيلة فيه هي عند النظر ضرب من الظلم لرعيته ، لأن تلك الرذيلة تنتقل إلى كثير منهم .

فالحاكم إذا أحب التجسس أخذه مَن حوله بحكم التقليد ، ولكل من هؤلاء حاشية وناس محدقون به ، فتنتقل تلك الرذيلة إليهم ، وهكذا .

كنت أعرف في بعض الرؤساء رذائل ، ولم ألبث حتى رأيت بعض مرءوسيهم وقد ظهرت فيهم هذه الرذائل بعينها ، وكأني الآن أنظر إليهم .

ومنه أن يقعد عن إدارة شئون الأمة ، ويجعل مصالحها وراء ظهره لا يحفل بها ، ولا يعنى إلا بتقاضي أجره ، وحمل الرعية على الاعتراف له بالسيادة ، وإبداء شعائر العبودية ويكون عبئاً ثقيلاً على كاهلها .

ومنه — وهو أشد — أن يستبد برأيه ، ويقضى بهواه ، وقد يمد عينيه ويديه مع ذلك إلى أحوال الرعية .

وحينئذ تذهب حرمة النفس والمال ، ويتضعضع الأمن ، ويخشى الناس على أموالهم من إظهارها فى التجارة ونحوها ، وتنقبض الأيدى عن الأعمال فتقل الثروة ، وتضيق دائرة العمران ، لأن الأمة تكون حينئذ فى تقهقر ، والحكومة الظالمة لاتنصر العلم ، لأنه يناقض حالها الذى هى فيه .

وكذلك الشأن فى أخلاقها ، فإنها تصير إلى الضعف والذلة ، وينتشر فيها النفاق والكذب ، وتبطل فيها الشجاعة والحمية ، وتظهر فيها جميع الرذائل التى تتولد من الضعف ؛ وإذا سلمت من الدمار زمناً فإنها تبقى كالمريض فى حال النزع ، ثم تضعف عن القيام بنفسها وتصير إلى غيرها .

الظلم فى الأمم يثير الضغائن ، ويزرع الأحقاد فى نفوس الرعية على الحكومة ، حتى تكون الأمة فى نزوع إلى الثورة ، وليس يدرى ماوراء الثورات من سقوط الحكومات ، وانقلاب الممالك إلا الله تعالى ، فالحروب الداخلية أشد وقعاً من الحروب الخارجية .

وهذه أمة الروس لما لقيت من حكومتها من الاستبداد والمصادرة فى الحرية أوغر ذلك صدورها ، وتحفزت إلى الثورة ؛ ولما آنست من حكومتها الضعف ثارت إلى الفتن والفتك بالناس ، وتعطيل الأعمال ، وتلك من ثمرات الظلم .

ومنها الظلم الذى يقع فى الأسر من عُمدائها ، والأسر أجزاء تتركب منها الأمة ، فإذا وقع فيها خلل أدى ذلك إلى فساد الأمة من وجه ؛ ونذكر لك شيئاً تقيس عليه .

فمن ذلك أن يسىء الرجل إلى زوجته — وهو كثير — ينظر إليها نظره إلى متاعه ، ويعاملها بما يقتضى ذلك ، فإن هذا يؤدى إلى ذلها وهوانها ، ويؤكد الرذائل فى نفسها ، وهى أم ولده ؛ فلابد أن تبعث فى نفسه من تلك الصفة التى صارت إليها ، ويكون عدوانه على زوجته عدواناً أيضاً على أولاده وأمته .

إن الذين يتكبرون فى أجواف بيوتهم على أهلهم ، ويشمخون بأنوفهم على أسرهم ، إنما يلدون عبيداً لغيرهم من الناس .

ومن الظلم أن يدع تربية أبنائه تربيةً يقتضيها الزمان ، فإن التزاحم على أمور الحياة قد اشتد ، وحاجة الإنسان قد تضاعفت ، وطبيعة العمران قد تغيرت ، فمن لا يحمل ابنيه عُدة من تعليمهم وتربيتهم فقد ظلمهم ، وكان كما لو دفعهم إلى الوغى بغير سلاح .

وكثير من الأسر أدرك الحاجة إلى تربية البنين ، ولكنهم لم يدركوها بعد إلى تربية البنات[1] ، وهى كذلك فى حاجة إليها .

فإن تدبير المنزل والسعادة من داخله ، وتربية الأولاد ، واقتدارهن على العمل ، والكسب عند الحاجة ، كل ذلك داع إلى العناية بتعليمهن وتربيتهن .

غالَى الرجال فى ظلم بناتهم حتى جعلوا درجتهن وراء ما يملكون من الحيوان وهم لا يشعرون . تولد عند الرجل المهرة أو الجحشة ، فمتى أدركت سن الروض دفعها إلى الرائض وإن قصر ندم . وتولد له البنت فإذا جاء عليها دور التربية أو جاوزته لم يدر فى خَلَده شئ من أمر تربيتها .

فما أظلم الإنسان وأبعده عن الحق ! إذا اعتاد الباطل ! .

ومن الظلم ما أسلفنا القول عليه من أن الرجل يضم إليه بنيه الكبار على الوجه الذى فى القرى ، ولا يكل إلى كل منهم عملاً خاصًّا يحضه على الكسب ، ويعرفه طرق المعاملات ، ويبعث فيه روح الاستقلال ، فإذا مات عجزوا عن تدبير أمورهم ووقعوا فى الخسران .

ومنها ظلم الحيوان مع كونه نعمة من الله تعالى على الإنسان . قال تعالى :

(وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ، وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) .

فلا يحل مقابلة هذه النعم بالكفران ، ولا هذه الرحمة بالظلم والقسوة ، وإسخاطه تعالى فيما أفاض من المنة .

نعم أحلت الشريعة ذبح الحيوان وأكله ، فمجاوزة ذلك إلى تعذيبه بلا جدوى أمر مخالف للشرع والعقل معاً .

---

(١) قد أدرك الناس أخيراً ضرورة تربية البنات فقامت الحكومة بقسطها فى فتح مدارس لهن ، والجماعات حتى تطورت الحالة وأصبح تعليم البنات فى مستوى تعليم البنين تقريباً .

فهراش الديوك تتقاتل حتى تسيل دماؤها ، والكباش تتناطح وتذوق الألم وقد تتكسر قرونها ، وتحميل الحيوانات فوق طاقتها حتى يبلغ منها الجهد غايته ، وضربها مع ذلك السياط ، كل ذلك ظلم . وأظن أمثال هؤلاء الذين يصنعون بالحيوان مثل ذلك ، يعاملون الإنسان بمثل هذه المعاملة لو وجدوا إليها سبيلاً .

جاوز الناس الحد فى أمور الصيد ، والعدوان على الحيوان ، و إن لم يطعموا منه ؛ ومن هؤلاء جماعة من الأغنياء جعلوا لهم قطعاً من الأرض يأوى إليها ، فإذا مالوا للهو بقتله ركبوا ومعهم آلاته من كل نوع ، حتى إذا جاءوا إليه وجدوا لهم فى الفتك به لهواً ولذة .

ويجب على الأستاذ أن يربى تلاميذه على احترام الشرع ، والقانون والتمسك بهما ، وينفرهم من مخالفتهما والخروج عنهما حتى يكون ذلك داعياً إلى بعدهم من الظلم .

(عن كتاب الأخلاق للمرحوم عبد الرحمن زغلول)

وناشره الأستاذ محمد عبد الجواد

١ — نتيجة البغى (الظلم)

قضت سنة الله أن يذل المستكبرين ، وأن يقصم ظهور جبابرة المتغطرسين ، وأن ينتقم ممن يقترفون ، فيظلمون الضعفاء الآمنين .

طغى فرعون فى الأرض ، واستبد بالعباد ، وتعاظم وقال : (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) ، فكان من أهل الشر والفساد .

(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) .

وقال تعالى : (فَحَشَرَ فَنَادَى . فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى . فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى)

اغتنى قارون وآتاه الله مالاً طائلاً ، وكنوزاً ضخمة ، فنسى نعمة ربه ، وبخل على أبناء جنسه ، فابتلعته الأرض فى جوفها بماله وداره ، وصارت قبراً لجسده وذهبه وعقاره . قال تعالى: (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ

مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ . وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ ، وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ . قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ، أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا) .

إلى أن قال جل شأنه : (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ) .

كانت عاد وثمود أممًا قوية ، غرتهم القوة ، فأذلهم القوى العزيز ، الذى لا يعجزه شئ فى الأرض ولا فى السماء .

(فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) .

فأهلكهم الله بريح قوية باردة أبادتهم عن آخرهم .

(وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ . سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ، فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ . فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ) .

وهكذا ينتقم الله من كل قوى يستبد بالمخلوق ، و ينكر ما للناس من حقوق ؛ فالقوة وحدها لاتنتج خيراً أبداً ، و إذا لم يعززها الحق و يكن لها مدداً أبادها الله القوى القادر ، وسلط عليها من لايرحمها . « وما ظالم إلا سيرمى بأظلم » .

(وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) .

(وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) .

محمود على أحمد

٢ — كلمة عامة عن الظلم

يزعم بعض الناس أن الظلم طبيعة فى الإنسان تظهره القوة ، ويخفيه الضعف ، وهذا زعم خاطئ ، فإن هناك من الطباع طباعًا تأبى لسلامتها الظلم ، وتمقته من نفسها ، وتقاومه عند غيرها .

ولو أنصف الناس لقالوا : إن الظلم لؤم الطبع ، وخبث النفس ، وضعف الوازع الدينى والخلقى .

قال تعالى : (إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً ، وَلَـٰكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) .

وقال تعالى : (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) .

وجاء فى الحديث الشريف : « الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وليس الظلم مقصوراً على أكل أموال الناس بالباطل ، فإن الظلم أنواع شتى . وأظلم الناس لنفسه ولغيره ذلك الذى لاعمل له ولا شغل إلا الانتقال من مجلس إلى آخر ، ينهش فى أعراض الناس ، ويسعى بينهم بالفساد . وأظلم منه من ينظر إلى حليلة جاره ، وبَلَغ فى عرض أخيه المسلم . ومثل أولئك من يجرح كرامات الناس ويتتبع عوراتهم .

وأشد من هؤلاء ظلماً وأشنع جرماً ، من يتهم الأبرياء ، ويلفق الجرائم على أناس لاصلة لهم به ، أو يأكل أموال اليتامى ظلماً ، ويغتال حقوق الفقراء ، فكل واحد من هؤلاء قد خسر الدنيا والآخرة .

وقد سأل النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه فقال : « أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ ؟ قالوا : المفلس منا من لادرهم له ولا دينار . فقال : إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هٰذَا ، وَقَذَفَ هٰذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هٰذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هٰذَا ، وَضَرَبَ هٰذَا ، فَيُعْطَى هٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِى النَّارِ » .

ولا يغيبنّ عن الأذهان أن دعوة المظلوم مستجابة ، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ : الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَدَعْوَةُ

الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللهُ فَوْقَ الْغَمَامِ ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ » .

ومما يروى فى هذا الصدد : أن رجلا ادعى على سعد بن أبى وقاص ظلماً و بهتاناً أنه لايسير بالسرية ، ولا يقسم بالسوية ، ولا يعدل فى القضية ، فدعا عليه سعد بطول العمر ، و بطول الفقر ، والتعريض للفتن ، فأصابته هذه الدعوات كلها .

وادعت امرأة على سعيد بن زيد ظلماً أنه أخذ شيئاً من أرضها ، وشكته إلى مروان ابن الحكم ، فقام سعيد أمامه قائلا :

أنا آخذ من أرضها شيئاً بعد الذى سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .

قال مروان : ماذا سمعت من الرسول ؟ .

قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا طَوَّقَهُ اللهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ » .

فقال له مروان : لاأسألك بعد هذا بيّنة .

فقال سعيد : اللّهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها فى أرضها ، فسمع الله دعوته فأعمى بصرها وقتلها فى أرضها .

لهذا كله ؛ قد حق على الظالم أن يلتمس العفو ممن ظلمه ، ويردّ الحقوق إلى أهلها ، وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ » .

فليلزم الظالمَ أن يرد ماأخذ إن كان موجوداً ، أو يرد ثمنه إن كان مفقوداً ، وإن كان قد اغتاب إنساناً ، أو نمّ على أحد فليعتذر له ، ويرجو منه الصفح عسى أن يتجاوز الله عنه .

محمود على رسلان

(مجلة نشر الفضائل)

العدد الأول (السنة الثامنة)

الآيات القرآنية الواردة فيها كلمة « الظلم »

وما يتفرع منها وتفسير معانيها

سورة البقرة

١ — (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) ٣٥

وقلنا : يا آدم اسكن أنت وزوجك (حواء) الجنة ، وكلا من ثمراتها كما تريدان فى أىّ مكان منها شئتما .

ولكن إياكما أن تأكلا من هذه الشجرة ، وعيّنها لهما ، فتكونا من الظالمين لأنفسكما .

٢ — (وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) ٥١

وإذ وعدنا موسى أن نعطيه التوراة بعد أربعين ليلة ، ومع هذا عبدتم العجل من بعده وأنتم ظالمون لأنفسكم ، فتوبوا إلينا حتى نعفو عنكم من بعد ذلك كله ، لعلكم تشكرون .

٣ — (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ) ٥٤

واذكروا أيضاً ، إذ قال موسى لقومه ، وقد رآهم يعبدون العجل : ياقومى لقد ظلمتم أنفسكم بعبادة العجل الذى لايضر ولا ينفع ، فتوبوا إلى خالقكم ، واقتلوا أنفسكم بترك الشهوات ، أو اقتلوا الذين عبدوا العجل منكم .

ذلكم أفضل لكم عند مولاكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم .

٤ — (وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ؛ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَارَزَقْنَاكُمْ ، وَمَا ظَلَمُونَا وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ٥٧

يذكرهم الله تعالى بأنه أظلهم بالغمام ، وبما تفضل عليهم به من (المنّ) إفرازٌ حلو المذاق تفرزه بعض الأشجار .

(والسلوى) : الطير المعروف بالسمانى، ليقيهم الهلاك من تلك البقعة المجدبة ، وأمرهم بأكل الطيبات من الرزق ثم يقول الله : وما ظلمونا ولكنْ كانوا لأنفسهم يظلمون .

٥ — (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ ، فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) ٥٩

فبدل الذين ظلموا من بنى إسرائيل الاستغفار وطلبَ العفو بالانهماك فى الشهوات ، فكان جزاؤهم أن أرسل الله عليهم العذاب ، (قيل : هو الطاعون) فأهلك منهم عدداً عظيماً .

٦ — (ولَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ، ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) ٩٢

لما جاءكم موسى بالآيات البينات آمنتم به أوّلاً ، ثم اتخذتم العجل من بعده ، وأنتم ظالمون .

٧ — (وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) ٩٥

قل يامحمد لبنى إسرائيل: إن كانت الدار الآخرة كما تقولون ـ لكم خاصةً لايشاركم فى نعيمها أحد فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، لأن نعيم هذه الحياة لايساوى شيئاً إذا قيس بنعيم الآخرة ، ولكنهم لن يتمنوه أبداً بسبب ما اجترموه من الذنوب ، والله عليم بما كانوا يظلمون .

٨ — (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ، وَسَعَى فِى خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ) ١١٤

ومن أكثر ظلماً ممن منع مساجد الله أن يُصَلَّى فيها وعمل على تعطيلها .

أولئك ما كان ينبغى لهم أن يدخلوها إلا بخشية وخشوع، لاأن يجترئوا على تخريبها .

٩ — (وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ، قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ؟ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ) ١٢٤

وإذ اختبر الله إيمانَ إبراهيم بأوامرَ ونواهٍ كلفه إياهن فقام بهن ، فقال له : إنى جاعلك للناس قدوةً .

فدعا ربه أن يكون ذلك أيضا لذريته من بعده ، فأجابه الله بأن عهده لا يصلح له إلا الصالحون ، ولا ينال الظالمين .

١٠ — (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ؟ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) ١٤٠

ومن أشد ظلماً ممن كتم شهادة يعلمها عن الله ، هذه الشهادة هى : ما كانوا يعلمونه من تبرىء الله لإبراهيم من اليهودية والنصرانية ، وكله بأنه على الحنيفية ، وما الله بغافل عما تعملون .

١١ — (وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ، إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ) ١٤٥

فإذا اتبعت يا محمد أهواءهم (ضلالاتهم) من بعد ما جاءك من العلم فيما يختص بأمر القبلة فإنك تظلم نفسك .

١٢ — (إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ، وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) ١٥٠

يقول الله تعالى ما معناه : وفى أى جهة كنتم فولوا وجوهكم شطر المسجد الحرام . لتدفعوا حجة اليهود عليكم فى قولهم : إن التوراة قد نصت على أن نبى آخر الزمان قبلته الكعبة ، ومحمد يجحد ديننا ، ويتبعنا فى قبلتنا .

ولتدفعوا حجة المشركين أيضا فى قولهم : كيف يدعى محمد ملة إبراهيم ويخالف قبلته ؟ إلا المعاندين الظالمين الذين لا يقنعهم أى تعليل كان ، فلا تخافوهم وخافونى ، ولأتم نعمتى عليكم فى أمر القبلة ، ولعلكم تهتدون بذلك .

١٣ — (وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ ، أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ، وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ) ١٦٥

ولو يعلم الذين ظلموا أنفسهم باتخاذ الأنداد حين يرون العذاب الذى ينتظرهم ، أن القوة كلها لله . لاشريك له فيها ، وأن الله شـديد العذاب ، لندموا على الشرك به سبحانه وتعالى .

١٤ — (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا ، وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) . ٢٢٩

تلك أحكام الله فلا تتجاوزوها ، ومن يتجاوز أحكام الله فهؤلاء هم القوم الظالمون .

١٥ — (وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) ٢٣١

ولا تمسكوا النساء بقصد الاعتداء عليهن ، فإن من يجرؤ على ذلك فقد ظلم نفسه .

١٦ — (فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا ، إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) ٢٤٦

فلما كتب عليهم القتال جبنوا إلا قليلا منهم ، والله عليم بالظالمين .

١٧ — (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ ، وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ٢٥٤

يأيها المؤمنون : أنفقوا فى سبيل الله مما رزقناكم ، من قبل أن يأتى يوم لاتجارة فيه تستعيضون بها عما خسرتم ، ولا محبة من محبّ تنفعكم ، ولا شفاعة من ذى جاهٍ تنقذكم والكافرون أى مانعو الزكاة هم الظالمون لأنفسهم .

١٨ — (وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ٢٥٨

لما قال إبراهيم للنمرود ، وقد أخذ يجادله و يحاجه : إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فتحير النمرود ولم يرد جوابًا ، لأن الله لايهدى القوم الظالمين .

١٩ — (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) ٢٧٠

وما بذلتم من مال ، أو نذرتم من شيء فإن الله يعلمه ، ويجازيكم عليه ، وليس للظالمين أنصار .

٢٠ — (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ، وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) ٢٧٢

وما تنفقوا من مال غير قاصدين به إلا وجه الله فهو لأنفسكم ، إذ يوفى إليكم أجره ، وأنتم لاتظلمون .

٢١ — (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ، ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ٢٨١

واحذروا يومًا سترجعون فيه إلى ربكم ، فتوفى كل نفس حسابها وهم لايظلمون .

سورة آل عمران

٢٢ — (فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ٢٥

فكيف يكون الحال ؟ إذا جمعناهم ليوم القيامة، وهو لاشك فيه ، ووفيت كل نفس جزاء ماعملته من خير وشر بالقسطاس المستقيم وهم لايظلمون .

٢٣ — (وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ، وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) ٥٧

وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فأوفيهم أجر ماعملوا، ولا أحب الظالمين ، هذه الآية بعد قوله تعالى :

(فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ).

٢٤ — (كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ، وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ٨٦

بعد أن بين الله أن من يطلب ديناً غير دين الإسلام فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الهالكين . قال تعالى ما معناه : كيف يهدى الله الذين كفروا بعد أن آمنوا وشهدوا بأن

الرسول حق وجاءهم بالآيات البينات ؛ إن الله لا يهدى القوم الظالمين .

٢٥ — (فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ٩٤

بعد أن بين الله أن كل أنواع الطعام كانت محللة لبنى إسرائيل قبل التوراة ، ثم حرم موسى عليهم بعضها بسبب عنادهم ، فأنكر اليهود هذا الأمر فقال الله :

فأتوا بالتوراة فاقرءوها ، وهى تشهد بأنها حرمت عليهم لهذا السبب ، فمن كذب بعد ذلك وافترى على الله الكذب فأولئك هم الظالمون .

٢٦ — (تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ) ١٠٨

هذه الآيات الواردة فى الوعد والوعيد من وحى الله نتلوها عليك ملتبسة بالحق ، وما الله يريد ظلمًا للعالمين .

٢٧ — (مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِى هٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلٰكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ١١٧

مثل الله ماينفق هؤلاء الكافرون رياء كمثل ريح فيها برد أصابت زرع قوم ظلموا أنفسهم بالانهماك فى المعاصى فأهلكته ، وما ظلمهم الله ولكنهم هم الذين كانوا يظلمون أنفسهم بارتكاب تلك المعاصى .

٢٨ — (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ) ١٢٨

ليس لك يامحمد من أمر تدبير العباد شئ ، فإما يتوب الله على المشركين و إما يعذبهم فإنهم ظالمون يستحقون العذاب .

٢٩ — (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) ١٣٥

بين الله فى الآيات السابقة وهذه الآية صفات المتقين. وهم: الذين يبذلون أموالهم فى حالتى الرخاء والشدة ، و يمسكون غيظهم و يعفون عن الناس . و إذا فعلوا أمراً منكراً ، أوظلموا أنفسهم بإتيان أى ذنب كان ، تذكروا الله فاستغفروه ، ولم يصرّوا على مافعلوا وهم عالمون. أولئك جزاؤهم عند الله المغفرة ، ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعم أجر العاملين .

٣٠ — (سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ) ١٥١

سنقذف فى قلوب الكافرين الرعب بسبب شركهم بالله ، مالا تقوم عليه حجة ، ومنزلهم النار ، و بئس منزل الظالمين .

٣١ — (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ١٦١

وما كان لنبىّ أن يخون فى الغنائم ، ومن يخن يأت بما أخذه يوم القيامة ثم تقضى على كل نفس جزاءها وهم لايظلمون .

٣٢ — (ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) ١٨٢

لقد وعد الله اليهود الذين قالوا : إن الله فقير ونحن أغنياء ، وقتلهم الأنبياء بغيرحق ، وعدهم بعذاب الحريق ، وقال لهم : ذوقوا عذاب الحريق ، ذلك بما قدمت أيديكم ، وأن الله ليس بظلام للعبيد .

٣٣ — (رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) ١٩٢

ربنا إنك من تدخل النار فقد قضيت عليه بالخزى ، ومالذين ظلموا أنفسهم بالنكوب عن الصراط السوىّ من أنصار .

سورة النساء

٣٤ — (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) ١٠

إن الذين يختلسون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون ملء بطونهم ناراً ، وسيدخلون ناراً تتأجج يوم القيامة .

٣٥ — (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ، وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا) . ٣٠

بعد أن قال الله فى الآية السابقة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) كالتعامل بالربا والقمار ، واغتصاب الحقوق إلى آخر الآية قال :

ومن يفعل ذلك ، أى القتل والمحرمات التى سبقت إفراطاً فى التجاوز عن الحق ، أى عدواناً وظلمًا ، فسوف ندخله ناراً ، وكان ذلك على الله هيِّنًا .

٣٦ — (إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَ إِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَ يُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيماً) ٤٠

إن الله لا يظلم أحدًا وزن هباءة حقيرة ، و إن عمل عامل حسنة يزدها له أضعافًا كثيرة و يؤته من عنده أجرًا عظيماً .

٣٧ — (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ ، بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً) ٤٨

ألا تعجب لهؤلاء اليهود الذين يثنون على أنفسهم فيقولون : نحن أبناء الله وأحباؤه ، ولكن الثناء والتزكية التى يعتد بها هى تزكية الله ، وهو لا يظلم الإنسان فتيلاً (الفتيل : الخيط الذى فى شق النواة ، و يطلق على الأمر التافه) .

٣٨ — (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيماً) ٦٤

قدر الله تعالى أنه ما أرسل الرسل إلا ليطاعوا ، ولو أن هؤلاء المنافقين إذ ظلموا أنفسهم بعدم قبولهم حكمك يا محمد جاءوك مستغفرين لتاب الله عليهم .

٣٩ — (وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا) ٧٥

وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله ؟ والحال أن الضعفاء من الرجال والنساء والولدان من مسلمى مكة يقولون : ربنا أخرجنا من هذه القرية (أى مكة) المتلبس أهلها بالظلم ، واجعل لنا من عندك ناصرًا ومعيناً ، أى كيف يهنأ لكم العيش و إخوانكم على تلك الحالة

٤٠ — (قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً) ٧٧

قل يا محمد للذين يخشون القتال هربًا من الموت : متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن خاف الله ، ولا تظلمون فتيلاً

٤١ — (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ؛ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) ٩٧

إن الذين تتوفاهم الملائكة ، وهم ظالمون لأنفسهم بترك الهجرة ، وموافقة الكفرة ، قالوا لهم : فى أى شئ كنتم من أمر دينكم ؟

قالوا : كنا مستضعفين عاجزين عن الهجرة ، فردوا عليهم قائلين :

ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مردهم جهنم وساءت مآلاً .

٤٢ — (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا) ١١٠

بعد أن قال الله لمن يعين الظلمة : (ها أنتم جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا ، فمن يجادل الله عنهم فى الآخرة ، أومن يكون محاميًا لهم ؟)

يقول : ولكن الأولى بمن يعمل السوء ، أو يظلم نفسه بأى حال كان — أن يستغفر الله فيجده غفورًا رحيماً .

٤٣ — (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) ١٢٤

ومن يعمل من الأعمال الطيبة الصالحة سواء كان ذكرًا أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون فتيلاً .

٤٤ — (لَا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ ، وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا عَلِيمًا) ١٤٨

لا يحب الله أن يجهر أحد بشئ من الكلمات السيئة إلا المظلوم إذا دعا على ظالمه ، فإن الله يسمعه و يعلم بحقيقة حاله .

٤٥ — (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا

الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُبِينًا) ١٥٣

يسألك يا محمد أهل الكتاب من اليهود أن تنزل عليهم كتابًا من السماء من طريق الإعجاز ، فقد طلبوا إلى موسى أكبر من ذلك ، فقالوا له : أرنا الله عيانًا ، فنزلت على القائلين صاعقةً من السماء فأحرقتهم بظلمهم .

ثم عكفوا على عبادة العجل من بعد ماجاءتهم البينات الواضحات ، ثم عفونا عنهم بعد ذلك كله ، ومنحنا موسى من لدنا تسلطًا ظاهراً عليهم .

٤٦ — (فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا) ١٦٠

ولقد حرمنا على بنى إسرائيل طيبات كثيرة كانت أحلت لهم ، وذلك كان بسبب ظلمهم وصدّهم عن سبيل الله كثيراً .

٤٧ — (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا) ١٦٨

إن الذين كفروا وصرفوا الناس عن سبيل الله قد ضلوا ضلالاً بعيداً ، وإن الذين كفروا وظلموا محمدا بإنكار نبوته ، أوظلموا الناس بصدّهم عما فيه صلاحهم لم يكن الله ليغفر لهم ، ولا ليهديهم طريقاً ، إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً ، وكان ذلك عند الله يسيراً .

سورة المائدة

٤٨ — (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ) ٢٩

فى قصة أبنى آدم (قابيل وهابيل) لما أراد قابيل قتل أخاه هابيل .

قال له : أن بسطت إلىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك ، لأنى أخاف الله رب العالمين ، ولأنى أريد أن ترجع حاملاً إثمى و إثمك فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء ظلمك .

٤٩ — (فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ٣٩

بعد أن ذكر الله عقاب السارق والسارقة فى الآية السابقة قال : فمن تاب من بعد

(ظلمه) سرقته وأصلح أمره بالخلاص من التبعات والعزم على أن لا يعود ، فإن الله يتوب عليه فى الآخرة .

٥٠ — (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ٤٥

من لم يحكم بما أنزل الله (أى بالقرآن) فأولئك هم الظالمون .

٥١ — (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ٥١

يأيها المؤمنون لا تتخذوا المعادين لكم من اليهود والنصارى أولياء يتولون أموركم ، فإن بعضهم أولياء بعض ، ومن يفعل ذلك منكم فإنه يكون منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين لأنفسهم .

٥٢ — (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) ٧٢

بعد أن قال الله تعالى : (لقد كفر الذين زعموا أن الله هو المسيح عيسى ابن مريم) مع أن المسيح نفسه قال لبنى إسرائيل : يا قوم اعبدوا الله ربى وربكم .

قال تعالى : إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومنزله فى الآخرة النار ، وما للظالمين من أنصار .

٥٣ — (فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) ١٠٧

فيحلفان الشاهدان الآخران بالله على أن شهادتهما أحق من شهادة سابقيهما ، وما اعتدينا ، وإلا كنا إذاً لمن الظالمين .

سورة الأنعام

٥٤ — (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) ٢١

ومن أظلم ممن اختلق على الله الكذب ، أو كذب بآيات الله ، إنه لا يفلح الظالمون .

٥٥ — (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ) ٣٣

قد نعلم إنه لا يكدرك الذى يقولون ، فإنهم لا يكذبونك فى الحقيقة ، ولكنهم بآيات الله يجحدون ؛ لأنهم ظالمون.

وقد قالها لمحمد أبوجهل : ما نكذبك و إنك عندنا لصادق ، و إنما نكذب ماجئتنا به.

٥٦ — (فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ٤٥

فاستؤصل القوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين .

٥٧ — (قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ) ٤٧

قل لهم يامحمد : أرأيتم لو أتاكم عذاب الله فجأة بلا مقدمات ، أوجهرة تتقدمه أمارات هل يهلك إلا القوم الظالمون ؟.

٥٨ — (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) ٥٢

ولا تطرد الفقراء الذين معك يدعون ربهم على الدوام (صباح مساء) ابتغاء وجه الله ، وليس عليك حساب إيمانهم ، ولا عليهم حساب إيمانك فتطردهم فتكون من الظالمين .

٥٩ — (قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ) ٥٨

قل لهم : لو أن عندى ما تستعجلون به من العذاب لقضى الأمر بينى و بينكم ، والله أعلم بالظالمين .

٦٠ — (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ٦٨

و إذا رأيت الذين يتناولون آياتنا بالطعن أو الاستهزاء ، فتولّ عنهم حتى يأخذوا

فى حديث غيره ، فإن أنساك الشيطان ذلك ، فلا تقعد بعد أن تتذكر هـذا الأمر مع القوم الظالمين .

٦١ — (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ، أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) ٨٢

الذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بظلم : أى بشرك ، أولئك لهم الأمن الصحيح ؛ وهم مهتدون .

٦٢ — (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا ، أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ، وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ ، وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ، الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ، وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ) ٩٣

ومن أظلم ممن اختلق على الله الكذب ، فزعم أنه بعثه نبيًّا ، وادعى أنه سيأتى للناس بمثل ماأنزل الله من القرآن والكتب السماوية .

ولو ترى إذ الظالمون فى شدائد الموت وأهواله ، والملائكة الموكَّلون بقبض الأرواح باسطو أيديهم إليهم يقولون :

أخرجوا أنفسكم ، اليوم تجزون العذاب المهين ، بما كنتم تقولون على الله غير الحق كالشرك به ، وكنتم عن التأمل فى آياته والإيمان بها تستكبرون .

لو ترى كل هذا لرأيت أمراً فظيعًا هائلاً .

٦٣ — (وَكَذَلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) ١٢٩

وكذلك نجعل بعض الظالمين أولياء بعض ، يمد بعضهم بعضًا فى الغىّ ، جزاء لهم على ما كانوا يكسبون من الآثام .

٦٤ — (ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ) ١٣١

إن الله لم يكن ليهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ، بل ينبههم وينذرهم ويبالغ لهم فى الموعظة أولا لعلهم يرجعون .

٦٥ — (قُلْ يَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ، إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) ١٣٥

قل يامحمد لقومك : اعملوا على غاية تمكنكم واستطاعتكم ، ولا تدخروا جهداً فى الكد إنى عامل على الصبر والثبات على الدين ، فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ؟ إنه لايفلح الظالمون .

٦٦ — (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ؟ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ١٤٤

فمن أشد ظلماً ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ، إن الله لايهدى القوم الظالمين .

٦٧ — (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ، سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ) ١٥٧

فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وأعرض عنها ، سنجزى الذين يعرضون عنها سوء العذاب بما كانوا يعرضون .

٦٨ — (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ١٦٠

من جاء بالحسنة فله أجرها مضاعفاً إلى عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلايجزى إلامثلها ، وهم لا يظلمون .

سورة الأعراف

٦٩ — (فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) ٥

فما كان دعواهم ، أى دعاؤهم حينما جاءهم بأسنا ، إلا أن اعترفوا بأنهم كانوا ظالمين .

وماذا يجديهم اعترافهم هذا بظلمهم ؟ وقد انتهوا إلى الآخرة وخرجوا من الدنيا ، ولم يكسبوا فى حياتهم خيراً .

٧٠ — (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ) ٩

يوم القيامة توزن أعمالهم بالعدل ، فمن رجحت حسناته على سيئاته ، فأولئك هم الفائزون .

ومن خفت موازينه (أى قلّت حسناته) فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا يظلمون آياتنا فيكذبونها بدل أن يصدقوها .

٧١ — (وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ، فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ، وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) ١٩

أمر الله تعالى آدم بأن يسكن الجنة هو وزوجه (حواء) وأن يأكلا من شجرها إلا شجرة منها، قيل : (هى شجرة الحنطة) فإذا أكلا منها يكونان من الظالمين .

٧٢ — (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ، وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) ٢٣

قال آدم وحواء : ربنا ظلمنا أنفسنا بمعصيتنا بالأكل من الشجرة ، وطلبا منه الغفران والرحمة بقولهما : ربنا إن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين .

٧٣ — (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ، أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ ، حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ؟ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا ، وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ) ٣٧

فمن أظلم ممن اختلق على الله الكذب أو كذب بآياته ، أولئك ينالهم نصيب من الكتاب ، أى مما كتب لهم فيه من الأرزاق والآجال ، حتى إذا جاءتهم رسلنا من الملائكة يتوفونهم ، أى يتوفون أرواحهم . قالوا لهم : أين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله ؟ .

قالوا : غابوا عنا ، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين .

٧٤ — (لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ، وَكَذٰلِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ) ٤١

لهم من النار فراش ، ومن فوقهم أغطية ، و بمثل هذا الجزاء نجزى الظالمين .

٧٥ — (ونَادَى أَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَاوَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَاوَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ قَالُوا نَعَمْ ، فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) ٤٤

وسأل أصحاب الجنة أصحاب النار : أنا وجدنا ماوعدنا ربنا من النعيم حقًّا ، فهل وجدتم ماأوعدكم به ربكم من العذاب حقًّا ؟ .

قالوا : نعم . فأعلم معلِّم بينهم أن لعنة الله على الظالمين .

٧٦ — (وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ ، قَالُوا رَبَّنَا لَاتَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ٤٧

بين الله فى الآية التى قبلها ، أنه يوجد بين أهل الجنة وأهل النار حاجز عليه رجال استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فحبسوا هنالك حتى يحكم الله فى أمرهم ، لم يدخلوا الجنة وهم طامعون فيها .

يعرفون كلاً من أهل الجنة وأهل النار بعلامات فيهم ، يحيُّون الأولين ، و إذا رأوا الآخرين وهم أصحاب النار (أى أهل جهنم) قالوا : ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين .

٧٧ — (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا ، فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) ١٠٣

ثم بعثنا بعد هؤلاء الرسل موسى بآياتنا إلى فرعون وأشراف قومه فظلموا بها ، أى إنه كان الإيمان من حقها فظلموها بكفرهم بها ، فانظر كيف كانت نهاية المفسدين .

٧٨ — (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ ، أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً ؟ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ) ١٤٨

واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً من الصنع حتى يخيل لرائيه أن له صوتاً ، فما أغفلهم ! .

ألا يرون أنه لا يكلمهم ولا يهديهم إلى طريق الرشاد لأنهم كانوا ظالمين ؟ .

٧٩ — (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً ، قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ، أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ، قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ١٥٠

ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال لهم :

بئسما قمتم مقامى من بعدى أأدركتم العجلة فتركتم أمر ربكم غير تام ، وهو مدة الأربعين يوماً فضللتم قبل تمامها .

وألقى الألواح من يده ، وأخذ بشعر رأس أخيه هارون يجره إليه ، كأنه ظهر له تقصيره فى منعهم . وهارون كان أكبر منه بثلاث سنين ، فقال له أخوه :

لاتعجل إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلونني فلا تفعل بي مايشمتهم ، ولا تعدني فى عداد القوم الظالمين .

٨٠ — (وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ، كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ، وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ١٦٠

وظللنا عليهم السحاب ليقيهم حرّ الشمس ، ورزقناهم المنّ والسلوى ، وقلنا لهم : كلوا من طيبات مارزقناكم .

فلم يثبتوا على ماأمرناهم به ، فلقوا جزاءهم ، وما ظلمونا بعصيانهم ، ولكنهم كانوا يظلمون أنفسهم .

٨١ — (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ) ١٦٢

فبدل الذين ظلموا أنفسهم منهم قولاً غير الذى قيل لهم ، فأرسلنا عليهم عذابا من السماء بسبب ظلمهم .

٨٢ — (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ ، وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) ١٦٥

فلما نسوا ماذكروا به أنجينا الذين ينهون عن المنكر ، وسلطنا على الظالمين عذاباً شديداً بما كانوا يخرجون عن حدود الشريعة .

٨٣ — (سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ) ١٧٧

بعد أن مثل الله الذى كذب بآياته (وهو بلعم بن باعوراء من علماء اليهود) بالكلب الذى يلهث ، قال :

بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات ربهم وظلموا أنفسهم .

سورة الأنفال

٨٤ — (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) ٢٥

واتقوا مصيبةً لايقتصر نزولها على الظالمين وحدهم ، بل تعمّ من لم يكونوا ظالمين ، لتقصيرهم عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واعلموا أن الله شديد العقاب .

٨٥ — (ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ، وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) ٥١

ذلك بما اكتسبتموه من الآثام ، والله ليس بظلام للعبيد ، لأنه لايظلم أحداً من خلقه .

٨٦ — (كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ، وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ) ٥٤

كذب آل فرعون ، ومن سبقهم بآيات الله ، فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون ، وكل كانوا ظالمين .

٨٧ — (وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) ٦٠

وما تبذلوا من شيء فى سبيل الله يرد إليكم ثوابه ، وأنتم لاتظلمون .

سورة التوبة

٨٨ — (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ ، وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ١٩

يقول الله تعالى للمشركين : أيها المشركون ؛ أجعلتم الخطط التى تتولونها من سقى الحجاج فى المواسم ، ومن عمارة المسجد الحرام ، والقيام على حفظ جدرانه ، كإيمان من آمن بالله إيماناً صادقاً ، وآمن بالدار الآخرة ، وعمل على التزود لها ، وجاهد فى سبيل الله بنفسه و بماله ؟

كلاَّ لايستوون عند الله ، والله لايهدى القوم الظالمين .

٨٩ — (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ٢٣

يأيها المؤمنون : لاتتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء توالونهم الحبّ والوداد إن آثروا الكفر على الإيمان ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون .

٩٠ — (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ، وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) ٣٦

إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى حكم كتاب الله ، وهو أمر ثابت منذ خلق الله الأجرام والأزمنة .

من هذه الشهور أربعة حرم ، وإن تحريمها لهو الدين القيم ، فلا تظلموا فيها أنفسكم بهتك حرمتها ، وقاتلوا المشركين جميعاً متساندين ، كما يقاتلونكم جميعاً متعاونين ، واعلموا أن الله مع المتقين .

٩١ — (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) ٤٧

لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا فساداً وشرًّا ، ولأسرعوا فى التدخّل بينكم يطلبون لكم الوقوع فى أمر يخذلكم كالتخالف أوالتخاذل ، يريدون بكم الفتنة وفيكم ضعفاء يسمعون لهم ، والله عليم بالظالمين .

٩٢ — (أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ٧٠

ألم يجئهم خبر الذين من قبلهم ، قوم نوح (أغرقوا بالطوفان) وقوم عاد (أهلكوا بالريح) وقوم ثمود (أهلكوا بالرجفة) وقوم إبراهيم (أهلك نمرود وأهلك أصحابه) وأهل مدين وهم قوم شعيب (أهلكوا بالنار) وقرى قوم لوط (انقلبت بأهلها فصار عاليها سافلها).

كل هذه الأمم أتتهم رسلهم بالآيات الواضحات فلم يكن الله ليظلمهم ، ولكنهم كانوا يظلمون أنفسهم بتعريضها لسخط الله بالكفر والجحود .

٩٣ — (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ ، أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ١٠٩

أيهما أفضل ؟ الذى أسس بنيانه على تقوى الله ورضوانه ، أم الذى أسسه على حرف شطّ متساقط ، فهوى به فى نار جهنم ، والله لايهدى الظالمين .

هذا بيان من الله سبحانه وتعالى بشأن الفارق بين من بنى (مسجد قباء) الذى أسسه الرسول (ومسجد الضرار) الذى بناه بنوغنم بن عوف ، ليؤمّهم فيه (أبوعامر الراهب) السالف ذكره فى الآية السابقة .

سورة يونس

٩٤ — (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) ١٣

ذكر الله تعالى فى هذه الآية الأمم السابقة التى أبادها بظلمها لعدم إيمانها بالآيات البينات التى جاءتهم رسلهم بها ، وكذلك يجزى الله القوم المجرمين .

٩٥ — (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ) ١٧

فمن أشدُّ ظلمًا ممن اختلق على الله كذبًا ، أو ممن كذب بآياته فكفر بها ، إنه لايفلح المجرمون .

٩٦ — (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) ٣٩

بعد أن قال الله فى الآيات السابقة : إن هذا القرآن ليس مما يمكن أن يفترى ، فإن صح زعمكم بأنه ممكن افتراؤه فأتوا بسورة مثله ، بكل من تشاءون من أهل الفصاحة والحكمة ، بل كذبوا بشئ لم يعرفوه ، ولم يحيطوا بعلمه تأويله بعد ، كذلك فعل الذين من قبلهم فتأمل ماذا كانت عاقبة الظالمين .

٩٧ — (إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ٤٤

إن الله لايظلم الناس شيئاً ، ولكن أكثر الناس يظلمون أنفسهم .

٩٨ — (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ ، فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ، وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ) ٤٧

ولكل أمة رسول يبعثه الله فيها ليهديها طريق الصواب ، فإذا جاء الأمة رسولها قضى بين الرسول ومكذبيه بالعدل وهم لايظلمون .

٩٩ — (ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) ٥٢

لما سأل الكفار محمداً صلى الله عليه وسلم قائلين له : متى وعد الله بالعذاب إن كنت صادقاً ؟ فقال الله له قل لهم يامحمد : إنى لا أستطيع أن أدفع عن نفسى ضرراً ، ولا أن أجلب

إليها نفعاً ، فكيف أستطيع أن أستعجل وقوع العذاب عليكم ؟ لكل أمة موعد تزول فيه ، فإذا جاء أجلهم ، فلا تتقدم عنه ساعةً ولا تتأخر ، فلا تستعجلوا ما سيحلّ بكم .

ثم قال لهم : إذا وقع آمنتم به ! ثم قيل : للذين ظلموا أنفسهم ذوقوا عذاب الخلد ، هل تجزون إلا ما كنتم تقترفون ؟

١٠٠ — (وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ٥٤

ولو أن لكل نفس ظلمت نفسها وغيرها ما في الأرض من خزائن ، لجعلته فدية لها من عذاب الآخرة ، ولكن الكافرين يبهتون حين يرون العذاب مما لم يكن يحتسبون ، ويخفون الندامة ، ويقضى بينهم بالعدل وهم لا يظلمون .

١٠١ — (فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ٨٥

لما قال موسى لقومه : ياقوم إن كنتم آمنتم بالله حق الإيمان ، فثقوا بالله واعتمدوا عليه إن كنتم له مسلمين .

فقالوا : عليه توكلنا ، ربنا لاتجعلنا موضع عذاب للقوم الظالمين ، ونجّنا برحمتك من القوم الكافرين .

١٠٢ — (وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ) ١٠٦

قل يامحمد لأهل مكة (كفار قريش) إن كنتم فى شك من دينى ، فهذه خلاصته ، اعتقاداً وعملاً وهى :

أن لاأعبد الذين تعبدونهم من دون الله ، ولكنى أعبد الله الذى يتوفاكم ، وأمرت أن أكون من المؤمنين ، وأن أقيم وجهى للدين مائلاً عن العقائد الزائغة ، وأن لا أكون من المشركين ، وأن لا أدعو من دون الله مالاينفعنى ولا يضرنى ، فإن فعلت كنت من الظالمين .

سورة هود

١٠٣ — (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أُولٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) ١٨

ومَن أظلم ممن اختلق الكذب على الله ، فادَّعى أنه أوحى إليه ، ولم يوح إليه ؟ أولئك يعرضون على ربهم يوم القيامة ، ويقول الشهود من الملائكة وغيرهم : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين .

١٠٤ — (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا ، اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) ٣١

من ضمن كلام نوح عليه السلام لقومه أن قال : إنى لا أقول لكم عندى خزائن رزق الله أغدق النعم على من أشاء ، ولا أقول إنى أعلم الغيب ، ولا إنى ملك ، ولا أقول للذين تزدريهم أعينكم (أى تحتقرهم أعينكم) لن يمنحهم الله خيراً ، الله أعلم بما فى أنفسهم ، إن قلتُ ذلك أكن إذاً من الظالمين .

١٠٥ — (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ) ٣٧

واصنع السفينة تحت رعايتنا وبوحي منا ، ولا تشفع فى الذين ظلموا إنهم محكوم عليهم بالغرق .

١٠٦ — (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ٤٤

وبعد صنع السفينة وركوبها قال لابنه : يابنىّ اركب معنا ، ولاتكن مع الكافرين .

فقال : يا أبت سآوى إلى جبل يعصمنى ، يحمينى من طغيان الماء ، فقال له أبوه : لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ، وحال بينهما الموج فكان من الهالكين غرقاً .

و بعد ذلك قيل : يا أرض ابلعى ماءك ، و ياسماء كفّى عن المطر ، ونضب الماء ، وتمّ هلاك الكافرين ، ورست السفينة على جبل الجودى (بالموصل) .

وقال الملائكة : بعداً للقوم الظالمين .

١٠٧ — (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) ٦٧

وأخذت الذين ظلموا من قوم صالح الصيحة (وهى صوت هائل انبعث من السماء فقطع قلوبهم) فأصبحوا فى ديارهم باركين على رُكبهم ميتين .

١٠٨ — (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ .) ٨٢ ، ٨٣

فلما جاء عذابنا قلبنا بهم مدينتهم ، فجعلنا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليهم حجارة من طين متحجر ، منتظمة متتابعة ومعلّمة من خزائن ربك ، وهى ليست من الظالمين ببعيد .

١٠٩ — (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) ٩٤

ولما جاء عذابنا نجينا شعيباً ، ومن آمن معه برحمة منا ، وأخذت الظالمين الصيحة ، فأصبحوا ميتين ، وهم باركون على رُكبهم .

١١٠ — (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ) ١٠١

وما ظلمناهم ، ولكنهم ظلموا أنفسهم باتباع الأضاليل ؛ فما نفعتهم آلهتهم بشىء لما جاءهم عذاب ربك ، ومازادوهم غير تخسير .

١١١ — (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ ، إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) ١٠٢

ومثل ذلك الأخذ أخذ ربك إذا انتقم من القرى وهى ظالمة ، إن انتقامه أليم شديد .

١١٢ — (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ، وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ) ١١٣

ولا تميلوا أقلّ ميل إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ، وما لكم من دون الله من نصراء ثم لاتنصرون .

١١٣ — (وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ) ١١٦

واتبع الظالمون ما أنعموا فيه من الشهوات وكانوا مجرمين .

١١٤ — (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) ١١٧

وما كان ربك ليهلك أهل القرى ظلمًا وهم مصلحون .

سورة يوسف

١١٥ — (قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) ٢٣

لما طلبت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه وغلقت الأبواب ، قال : معاذ الله ، أى أعوذ بالله وألتجئ إليه ، إن ربى (أى سيدى) ، (يعنى زوجها) أحسن تعهدى ، وأكرمنى فلا أخونه ، إن الله لايفلح الظالمين الخائنين .

١١٦ — (قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) ٧٥

لما جهز يوسف إخوته للسفر ، وجعل مشربته فى أمتعة أخيه (بنيامين) قال لهم : ماجزاء من توجد فى أمتعته ! قالوا : جزاؤه أن يؤخذ فيه ، كذلك نجزى الظالمين .

١١٧ — (قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ) ٧٩

قال : معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا صُواعنا عنده ، فإن فعلنا غير ذلك نكن إذاً من الظالمين .

سورة الرعد

١١٨ — (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ) ٦

بعد أن قال : ويستعجلونك يا محمد بالعقوبة قبل العافية ، وقد مضت من قبلهم العقوبات التى نزلت بأمثالهم من المكذبين .

وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ، وإنه لشديد العقاب .

سورة إبراهيم

١١٩ — (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ) ١٣

وقال الذين كفروا لرسلهم : إما أن تخرجوا من بلادنا ، أوتدخلوا فى ديننا ، فأوحى الله إليهم لنهلكن الظالمين .

١٢٠ — (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ٢٢

قال الشيطان لما فرغ من أمر هؤلاء الكافرين : لا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمغيثكم من عذاب الله ، وما أنتم بمغيثىّ منه ، فإنى قد كفرت قبل أن أهبط إلى الأرض بالله الذى أشركتمونى معه ، إن الظالمين لهم عذاب أليم .

١٢١ — (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ، وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ) ٢٧

يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت المؤيد بالحجة ، المسند بالدليل فى الحياة الدنيا ، فلا يؤمنون بشئ إلا ببرهان ، ويثبتهم كذلك فى الآخرة . ويضل الله الذين ظلموا أنفسهم بالاقتصار على تقليد آبائهم ، ويفعل الله ما يشاء .

١٢٢ — (وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ، وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) ٣٤

بعد أن بين الله نعمه على مخلوقاته ، وتسخيره الشمس والقمر والليل والنهار ، قال لهم : وقد منحكم من كل ما سألتموه ؛ وإن تعدوا نعمة الله عليكم فلا تحصوها ، إن الإنسان لكثير الظلم ، كثير الكفران والجحود بالنعم .

١٢٣ — (وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ) ٤٢

ولا تحسبن يامحمد أن الله غافلاً عما يعمله الظالمون ، إنما يؤخر حسابهم ليوم تبهت فيه الأبصار من شدة مايصيب الناس فيه من الهول .

١٢٤ — (وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ) ٤٤

وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الظالمون : ربنا أخرنا إلى ميعاد قريب نجب فيه دعوتك ونتبع الرسل ، فيقال لهم : أولم تقسموا بطراً ، وغروراً أنكم باقون فى الدنيا لايلحقكم الموت ؟

١٢٥ — وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ) ٤٥

والحال أنكم سكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، وظهر لكم ماذا فعلنا بهم ، وضربنا لكم الأمثال تنبيهاً لكم فلم تعتبروا .

سورة الحجر

١٢٦ — (وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ . فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ) ٧٨ ، ٧٩

لما كان أصحاب الأيكة (أى قوم شعيب) من الظالمين انتقمنا منهم ، وإنهما (أى مدينة سدوم والأيكة) لبطريق واضح يراها الناس .

سورة النحل

١٢٧ — (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) ٢٨

الذين تتوفاهم الملائكة وهم ظالمون لأنفسهم ، فسالموا وأخبتوا حين شاهدوا العذاب وقالوا : ما كنا نعمل من سوء ، بل إن الله عليم بما كنتم تعملون ، فيجازيكم عليه مجازاة رادعة .

١٢٨ — (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ٣٣

هل ينتظر الكافرون إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم ، أو يدهمهم عذاب ربك كذلك فعل الذين من قبلهم ، وما ظلمهم الله ، ولكن كانوا يظلمون أنفسهم بالكفر والانهماك فى المعاصى .

١٢٩ — (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِى اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) ٤١

والذين هاجروا فى مرضاة الله من بعد ما ظلمهم المشركون لننزلنهم فى الدنيا مدينةً حسنةً هى (يثرب) ولأجر الآخرة أكبر وأعظم لو كانوا يعلمون .

١٣٠ — (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) ٦١

ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك على ظهر الدنيا من دابة ، ولكنه يؤخرهم أعماراً مقدرةً لايتقدمونها ولا يتأخرون عنها ساعة .

١٣١ — (وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) ٨٥

و إذا رأى الذين ظلموا عذاب جهنم فلايخفف عنهم ولاهم يمهلون .

١٣٢ — (يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ، وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ١١١

يوم تجىء كل نفس تجادل عن نفسها ، وتسعى فى خلاصها ، و إذ ذاك توفى كل نفس جزاء ماعملت وهم لايظلمون .

١٣٣ — (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) ١١٣

ولقد جاءهم رسول من جنسهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون .

١٣٤ — (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ١١٨

وقد حرمنا على اليهود ما ذكرناه لك من قبل ، وما ظلمناهم نحن ، ولكن كانوا يظلمون أنفسهم .

سورة الإسراء

١٣٥ — (وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا) ٣٣

ولا تقتلوا النفس إلا إذا استحقته ، ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه حقًّا فى طلب القصاص من القاتل ، فلا يحملنه الحزن على قريبه أن يمثل بقاتله ، و يقتل معه سواه إنه منصور على أىّ حال .

١٣٦ — (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُورًا) ٤٧

نحن أعلم بالسبب الذى يدعوهم للاستماع إليك ، وهو الاستهزاء بك و بالقرآن ، ونحن أعلم أيضاً إذ هم يتناجون ، إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحورًا قد ذهب عقله .

١٣٧ — (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا) ٥٩

وما منعنا أن نرسل محمداً بالمعجزات إلا أن كذب بها الأولون ، وآتينا قوم ثمود الناقة آيةً بيِّنةً فظلموا أنفسهم بسببها إذ عقروها ، وما نرسل بالآيات إلا تخويفًا .

١٣٨ — (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ، فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً) ٧١

يوم ندعو كل قوم بإمامهم الذى يأتمون به من دِين أو زعيم ، أو ندعو كل إنسان بكتاب أعماله ، فمن أوتى كتابه بيمينه ، فأولئك يقرءون كتابهم فرحًا بما فيه ، ولا يظلمون أقلّ شئ .

١٣٩ — (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا) ٨٢

وننزل من القرآن ما هو شفاء لأدواء النفوس ، ورحمةً للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين إلا خسراناً لكفرهم .

١٤٠ — (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ، وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَرَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُورًا) ٩٩

أولم يروا أن الله الذى لاحدَّ لقدرته ، الذى خلق السموات والأرض — بقادرعلى أن يخلق مثلهم ؟ وجعل لهم أجلاً لاشك فيه ، هو الموت أوالقيامة ، فأبى الظالمون إلا كفراً .

سورة الكهف

١٤١ — هٰؤُلاَءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلاَ يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ، فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا) ١٥

هؤلاء قومنا اتخذوا من دون الله آلهة ، فهلا يأتون عليهم ببرهان واضح ، فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ؟

١٤٢ — (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِى الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا) ٣٩

وقل لهم يامحمد : الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، لست أضطر أحداً لترك دينه ، إنا هيأنا للظالمين ناراً أحاط بهم (فسطاطها) ، إن يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كدردىّ الزيت فى الكدورة والقذر ، يشوى الوجوه ، بئس الشراب وساءت جهنم متكأً لهم .

١٤٣ — (كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا) ٣٣

كلا البستانين أعطى ثمره ، ولم ينقص منه شيئاً .

١٤٤ — (وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هٰذِهِ أَبَدًا) ٣٥

ودخل بستانه ، وهو ظالم لنفسه ، بعجبه وكفره قائلاً : ما أظن أن تفنى هذه الجنة أبداً ، وما أظن الساعة كائنة ؛ إلى آخر ماقال هذا الرجل المتعاظم المتكبر .

١٤٥ — (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) ٤٩

ووضع كتاب الأعمال ، فترى المجرمين خائفين مما فيه لسوء ما قدموه بين أيديهم ويقولون : ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر (لايترك) صغيرة ولا كبيرة من أمورنا إلا أحصاها ، ووجدوا ماعملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك أحداً .

١٤٦ — (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ، أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً) ٥٠

و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فأطاعوا الأمر إلا إبليس كان من الجن فخرج عن أمر ربه ، أفتتخذونه وذريته موالى لكم من دونى ، وهم لكم عدوّ ؟ بئس للظالمين بدلاً .

١٤٧ — (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) ٥٧

ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ولم يتدبرها ، ونسى ما قدمت يداه من الأعمال المنكرة ؟ .

١٤٨ — (وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا) ٥٩

وتلك القرى (عاد وثمود وغيرهم) أهلكناهم لما ظلموا أنفسهم بالكفر ، وجعلنا لإهلاكهم وقتاً مقرراً .

١٤٩ — (قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا) ٨٧

قال ذوالقرنين : أما من ظلم نفسه بالكفر والإصرار عليه فإننا سنعذبه ، ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً منكراً ، وأما من آمن وعمل صالحا فله المثوبة الحسنى .

سورة مريم

١٥٠ — (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ، لٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) ٣٨

فاختلف الأحزاب (الفرق) من بينهم فويل للكافرين من رؤية عذاب عظيم ، فما أحدّ سمعهم ، وأبعد بصرهم يوم يأتوننا ، لكنهم اليوم صم عمى لا يهتدون ، أى الظالمون اليوم فى ضلال مبين .

١٥١ — (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا) ٦٠

إلا من تاب (من ذنوبه) وآمن وعمل صالحاً (من الطاعات) ، فأولئك يدخلون الجنة (بسبب ذلك) ولا يظلمون (أى ينقصون) شيئاً .

١٥٢ — (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) ٧٢

ثم ننجى المتقين ونترك الظالمين فيها باركين على ركبهم .

سورة طه

١٥٣ — (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا) ١١١

وذلت الوجوه للحى القيوم ، وقد خاب (وخسر) من حمل (ارتكب) ظلماً .

١٥٤ — (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) ١١٢

ومن يعمل من الأعمال الصالحة الطيبة ، وهو مؤمن بالله ورسله ، فلا يخاف ظلماً ولا هضماً (بخساً) .

سورة الأنبياء

١٥٥ — (لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ) ٣

بعد أن ذكر الله اقتراب يوم القيامة ووقوف الناس للحساب قال : لاهية قلوبهم ، وأخفى الذين ظلموا تحادثهم ليخفوا ما ينوونه من الدسائس ، وقالوا : هل محمد إلا بشر مثلكم ؟ أفتقعون فى السحر وأنتم تبصرونه ؟

١٥٦ — (وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ) ١١

وكم أهلكنا (أبدنا ودمرنا) من قرية (بلدة) كانت ظالمة لنفسها أو لغيرها وأنشأنا (أوجدنا وأحدثنا) بعدها قومًا آخرين .

١٥٧ — (قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) ١٤

ولما قيل لهم : لا تهربوا وارجعوا إلى النعم التى أبطرتكم ، وإلى مساكنكم لعلكم تسألون عن أعمالكم أوتعذبون ؟ قالوا ياويلنا إنا كنا ظالمين .

١٥٨ — (وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) ٢٩

ومن يزعم منهم أنه إله جزيناه جهنم ، وكذلك نجزى الظالمين لأنفسهم أولغيرهم .

١٥٩ — (وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) ٤٦

ولئن مسهم شىء دنىء من عذاب الله ليقولن : ياويلنا إنا كنا ظالمين .

١٦٠ — (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ، وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) ٤٧

ونضع الموازين العادلة ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئاً ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين عليها .

١٦١ — (قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا ، إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ؟) ٥٩

لما دخل إبراهيم الهيكل وحطم الأصنام آلهتهم إلا أكبرها حجماً لعلهم يرجعون إليه بالسؤال عمن فعل ذلك .

قالوا : من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ؟ وهذا فى الواقع ونفس الأمرليس ظالماً من إبراهيم بل هو فى مصلحة الدين .

١٦٢ — (فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ) ٦٤

لما قالوا لإبراهيم : أأنت صنعت هذا بآلهتنا ياإبراهيم ؟ قال : لا ؛ بل فعله كبيرهم هذا ، وأشار إلى الصنم الأكبر الذى تركه سليماً ، فاسألوهم إن كانوا ينطقون .

فراجعوا عقولهم وقال بعضهم لبعض : إنكم أنتم الظالمون لسؤاله هذا السؤال .

١٦٣ — (فَنَادَى فِى الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ ، إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) ٨٧

وذا النون (صاحب الحوت ، وهو يونس بن متى) لما ترك قومه بدون إذن الله ضجراً من شدة عنادهم وتماديهم فى كفرهم ، وظن أن لن نقدر عليه ، نادى فى ظلمات الليالى ، أو فى ظلمات بطن الحوت (إذ كان التقمه حوت عقوبةً من الله له) : أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين .

١٦٤ — (وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ، يَاوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا ! بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ) ٩٧

واقترب يوم القيامة ، فإذا أبصار الذين كفروا ناظرةً لاتطرف من الحيرة و يقولون : ياو يلنا قد كنا فى غفلة عن هذا ، بل كنا ظالمين .

سورة الحج

١٦٥ — (ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ، وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) ١٠

بعد أن قال الله : إن من الناس من يباحث فى الله بغير علم يعتمد عليه ، ولا هدًى يستند إليه ، ولا كتاب منير يستمد منه ، متكبرًا عن قبول الحق ، ليضل الناس عن سبيل الله ، فهذا له فى الدنيا خزى بظهور بطلان مذهبه ، و يذيقه الله يوم القيامه عذاب النار .

فيقال له : ذلك بسبب ماقدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد .

١٦٦ — (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) ٢٥

بعد أن قال الله تعالى : إن الكافرين الذين يصدون الناس عن سبيل الله وعن المسجد الحرام ، قال :

ومن يرد أن يبتدع فى المسجد مالم يرده الله بميل عن القصد ، وهو ظالم لنفسه ، نذقه من عذاب أليم .

١٦٧ — (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ، وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) ٣٩

رخص الله بالقتال للذين يقاتلهم المشركون لأنهم ظلموا ، و إن الله على نصرهم لقدير .

١٦٨ — (فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ) ٤٥

وكم من قرية أهلكناها وهي ظالمة ، فهي ساقطة حيطانها على سقوفها ، وكم من بئر ملأى بالماء معطلة لهلاك أهلها ؟ وكم من قصر مشيد خالٍ من سكانه ؟ .

١٦٩ — (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ) ٤٨

وكم من قرية أمهلتها وهي ظالمة ، لترجع إلى الصواب والحق ؟ ثم أخذتها بعد اليأس من إصلاحها ، و إليّ المصير .

١٧٠ — (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) ٥٣

بعد أن قال الله : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا قرأ دسّ الشيطان في قراءته ماليس بوحي ، فيبطل الله مايدسه الشيطان ، ثم يثبت آياته والله عليم حكيم ، ليجعل مايدسه الشيطان امتحاناً للذين في قلوبهم مرض : الشك أو النفاق ، أو القاسية قلوبهم ، قال : (و إن الظالمين) من هذين الفريقين (لفي شقاق بعيد) عن الحق .

١٧١ — (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ) ٧١

و يعبدون من دون الله مالم يؤتهم عليه دليلاً ، و يعبدون ماليس لهم به علم ، بل ظنوناً وأوهاماً ، فما للظالمين من نصير يدفع عنهم العذاب .

سورة المؤمنون

١٧٢ — (وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ، إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ) ٢٧

ولا تشفع للذين ظلموا ، إنهم محكوم عليهم بالغرق هالكون .

١٧٣ — (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ٤١

فأخذتهم الصيحة متلبسةً بالحق ، بعيدة عن الظلم ، فجعلناهم كورق الشجر البالى ، فبعدًا للظالمين .

١٧٤ — (وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ٦٢

ولا نكلف نفساً إلا على قدر طاقتها ، وعندنا كتاب أعمالهم يشهد عليهم بالحق ، وهم لا يظلمون .

١٧٥ — (رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ٩٤

قل : رب إن كان لابد أن نشهد ما تعدهم إياه من العذاب ، فلا تجعلنى قريباً لهم فيه ، أى لاتجعلنى فى القوم الظالمين .

١٧٦ — (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ) ١٠٧

ربنا أخرجنا من النار ، فإن عدنا لما كنا عليه ، فإنا ظالمون .

سورة النور

١٧٧ — (أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا ؟ أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ؟ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ٥٠

أفى قلوبهم مرض النفاق ؟ أم شكوا فى نبوّته ؟ أم يخافون أن يجور الله عليهم ورسوله ؟ بل أولئك هم الظالمون لأنفسهم .

سورة الفرقان

١٧٨ — (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا) ٤

وقال الكفار : إنْ هذا القرآن اختلاق ، افتراه محمد وأعانه عليه اليهود أو غيرهم بقراءتهم عليه ماسطره الأقدمون صباحاً ومساءً ، وهو ينقلها بلسانه ويكسبها الطلاوة ببيانه فما أجهلهم ؟ لقد ارتكبوا بقولهم هذا ظلماً وزوراً .

١٧٩ — (أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ، وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُورًا) ٨

وقالوا : هلا أنزل على محمد ملَك فيعينه على مهمته ؟ أو يعطى له كنز ينفق منه عن سعة ؟ أو تكون له جنة يأكل منها بلا كدّ ولا نصب ؟

وقال الظالمون : ماتتبعون إلا رجلا اختلّ عقله بسبب سحر أصابه .

١٨٠ — (وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا) ١٩

ومن يظلم منكم بعد هذا البيان المذكور فى الآية السابقة (أى بعد أن يجمعهم الله ، وما يعبدون من الآلهة ، ويقولون لهم : هاهم آلهتكم قد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون دفعاً للعذاب عن أنفسكم ولا نصراً لها) — نذقه عذاباً كبيراً .

١٨١ — (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ، يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا) ٢٧

يوم يعضّ الظالم فيه على يديه ندماً وتحسراً ويقول : ياليتنى اتخذت مع الرسول طريقاً لنجاتى .

١٨٢ — (وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ، وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا) ٣٧

وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم ، وجعلناهم للناس آيةً دالةً على بطش الله فى أخذ الكافرين ، وأعتدنا للظالمين عذاباً أليماً .

سورة الشعراء

١٨٣ — (وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ١٠

وإذ دعا ربك موسى وقال له : اذهب إلى القوم الظالمين (قوم فرعون) ألا يخاف هؤلاء بطشنا ؟ أفلا يعقلون ؟ .

١٨٤ — (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ . ذِكْرَى ، وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ) ٢٠٩

وإننا لم نهلك قرية إلا بعد أن نبعث فيها منذرين يذكرون أهلها عاقبة تماديهم فى الغىّ ، وما كنا ظالمين .

١٨٥ — (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) ٢٢٧

بعد أن وصف الله حالة الشعراء وقال عنهم : إنهم يهيمون فى كل وادٍ من القول بين مدح وهجاء وغيرهما ، طلباً للمنافع الشخصية ، وإنهم يقولون مالا يفعلون . استثنى منهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيراً ، وانتصروا من بعد ما ظُلموا ، ثم أشار إلى الظالمين فقال عنهم :

سيعلمون أىّ انقلاب ينقلبونه بعد الموت ، وهو تهديد شديد للظالمين .

سورة النمـــل

١٨٦ — (إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ ، فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) ١١

لما ألقى موسى عصاه ورآها تهتز كأنها حية سريعة الحركات ولّى مذعوراً ولم يرجع ، فقال له الله : لا تخف ؛ إنه لا يخاف لدىّ المرسلون .

(إلا من ظلم وفرطت منه صغيرة ، ثم أعقبها بعمل حسن ، فإنى غفور رحيم) .

١٨٧ — (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ، فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) ١٤

لما جاءت فرعون وقومه الآيات الواضحات كذبوا بها بعد أن تيقنوا صحتها ، ظلما لأنفسهم وتعاليا واستكبارا ، فانظر كيف كانت عاقبتهم ؟

١٨٨ — (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ، وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ٤٤

لما دخلت بلقيس عند سليمان فى القصر ورأت أرضه حسبته ماء وكشفت عن ساقيها كى لا تبتل ثيابها فقال لها : إنه صرح ممرس من زجاج .

فقالت : يارب إنى ظلمت نفسى بعبادتى الشمس ، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين .

١٨٩ — (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) ٥٢

فتلك بيوتهم متهدمة بما ظلموا ، وفى ذلك عبرة لقوم يعلمون فيتعظون .

(انظر سبب نزول هذه الآية فى المصحف المفسر) .

١٩٠ — (وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ) ٨٥

يوم يجمع الله من كل أمة طائفة ويسألهم : أكذبتم بآياتى ولم تدركوا معانيها ؟ أم ماذا كنتم تعملون ؟

فلم ينطقوا بكلمة اعتذار ، ووقع عليهم العذاب بسبب ظلمهم .

سورة القصص

١٩١ — (قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ، فَغَفَرَ لَهُ ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) ١٦

لما دخل موسى عليه السلام المدينة وأهلها غافلون عنه وجد إسرائيليًا وقبطيًا يقتتلان فاستغاث به الأول ، فضرب الثانى فمات فقال : هذا من عمل الشيطان ، إنه عدو مضل

ظاهر العداوة ، ثم قال : رب إنى ظلمت نفسى بعملى هذا ، فاغفرلى ، فغفر له إنه غفور رحيم.

١٩٢ — (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ ، قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ٢١

وجاء رجل من أقصى المدينة مسرعاً وقال : ياموسى ؛ إن القوم يتشاورون فى أمرك ليقتلوك ، فاخرج من مصر ، إنى لك من الناصحين .

فخرج منها خائفاً يترقب أن يلحقه لاحق وقال : رب نجنى من القوم الظالمين .

١٩٣ — (قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ٢٥

لما دعت إحدى المرأتين موسى وقالت له : إن أبى يدعوك ليعطيك أجر ماسقيت لنا ، فلما جاءه وأخبره بخبره قال له : لاتخف ؛ قد نجوت من القوم الظالمين .

١٩٤ — (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) ٣٧

لما ذهب موسى إلى فرعون وقومه وسمع منهم ما سمع قال لهم : ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ، ومن تكون له العاقبة الحسنة بعد هذه الحياة الدنيا ، إنه لايفلح الظالمون.

١٩٥ — (فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِى الْيَمِّ ، فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) ٤٠

لما استكبر فرعون وجنوده فى الأرض بغير الحق ، إذ ادّعى الألوهية ، فأخذناه وجنوده فألقيناهم فى البحر حين تعقبوا موسى و بنى إسرائيل لمنعهم من الخروج من مصر ، فانظر يامحمد كيف كان عاقبة الظالمين ؟ .

١٩٦ — (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ٥٠

قل يامحمد لبنى إسرائيل : فأتوا بكتاب من عند الله أهدى من التوراة والقرآن ، وأدلّ منهما على طريق السعادة ، لأتبعه إن كنتم صادقين ، فإن لم يجيبوك إلى ماتطلب فاعلم أنما يتبعون ميولهم الضالة ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدًى من الله ؟ إن الله لايهدى القوم الظالمين .

١٩٧ — (وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ) ٥٩

وما كان ربك ليهلك القرى حتى يبعث فى كبراها رسولاً يتلو عليهم آياتنا ، وما كنا لنهلك القرى إلا وأهلها قد استحقوا الهلاك بظلمهم .

سورة العنكبوت

١٩٨ — (فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) ١٤

ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فمكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، يدعوهم إلى الحق ، فلم يرفعوا به رأساً ، فأرسل الله عليهم الطوفان فأغرقهم ، وهم ظالمون لأنفسهم .

١٩٩ — (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَـٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ) ٣١

ولما جاءت رسلنا من الملائكة إبراهيم يبشرونه باسحٰق ، ومن بعد إسحٰق يعقوب قالوا له : إنا أرسلنا لنهلك أهل هذه القرية (يعنون سدوم) لأنهم كانوا ظالمين ، فقال لهم : إن فيها لوطاً .

٢٠٠ — (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ، وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ٤٠

فقد أخذنا كلاً من هؤلاء المتمردين بذنبه ، فمنهم من أمطرنا عليه حجارةً من السماء ، ومنهم من أخذته الصرخة الهائلة ، ومنهم من خسف به الأرض ، ومنهم من أغرق ، وما كان الله ليظلمهم ، ولـكنهم كانوا يظلمون أنفسهم .

٢٠١ — (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ، وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ، وَإِلٰهُنَا وَإِلٰهُكُمْ وَاحِدٌ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) ٤٦

ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بأحسن جواب لمقابلة خشونتهم باللين ، وشغبهم بالنصح إلا الذين ظلموا منهم بالإفراط فى الاعتداء ، وقولوا لهم :

آمنا بالذى أنزل إلينا ، وبالذى أنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون .

٢٠٢ — (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ، وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ) ٤٩

يقول الله تعالى : ما كنتَ يامحمد تقرأ من قبل القرآن كتاباً ، ولا تكتبه بيدك ، لأنك أميّ ، فلو كنت قارئاً أو كاتباً لارتاب المبطلون ، وقالوا : إنك تأتينا بما تنتحله من الكتب السابقة ، كلا بل هو (أى القرآن) آيات واضحات المعانى يحفظها العلماء فى صدورهم عنايةً بها ، وما يجحد بآياتنا (أى ينكرها) إلا الظالمون .

٢٠٣ — (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ، أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ؟) ٦٨

ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا ، إذ زعم أن له شريكاً ، أو كذب بالحق لما جاءه (يعنى الرسول أو الكتاب) أليس فى جهنم مكان ينزل فيه الكافرون ؟

سورة الروم

٢٠٤ — (وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ، فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ٩

بعد أن بيّن الله فى الآيات السابقة أنه ماخلق السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ، لا الباطل ، وقال للكافرين :

ألم يسيحوا فى الأرض ليتحققوا بأنفسهم كيف كانت عاقبة الذين من قبلهم ؟ و بيّن لهم حالتهم ، وقال : أتتهم رسلهم بالبينات ، فما كان الله ليظلمهم ، فيدمرهم بغير جريمة ، ولكنهم كانوا يظلمون أنفسهم بكفرهم.

٢٠٥ — (بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَمَنْ يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ اللهُ ؟ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) ٢٩

يقول الله تعالى : بل اتبع الذين ظلموا أنفسهم أضاليلهم النفسية غير مستندين فيها إلى علم ، فمن ذا الذى يهدى من أضله الله ؟ ومالهم من ناصرين .

٢٠٦ — (فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) ٥٧

يوم القيامة ؛ أى تقوم الساعة ، يحلف المجرمون إنهم مامكثوا فى الدنيا غير ساعة ، والواقع أنهم لبثوا فيها عمراً مديداً ، كذلك كانوا يُصرفون عن وجه الحق فى الدنيا فلا يرون الشىء على حقيقته .

أما الذين مُنحوا العلم والإيمان فيقولون لهم : لقد مكثتم كما هو مثبوت فى كتاب الله إلى يوم القيامة ، فإن كنتم تنكرونه فهاهو يوم القيامة ، ولكنكم كنتم لاتعلمون أن وعد الله حق فكذبتم الرسل .

فيومئذ لاينفع الظالمين معذرتهم ، ولا هم يسترضون بدعوتهم إلى التوبة والطاعة لينجوا من العذاب .

سورة لقمان

٢٠٧ — (هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) ١١

بعد أن بين الله فى الآية السابقة أن خلق السموات معلقةً فى الفضاء بغير عمد ، لايسندها شئ كما ترونها ، وألقى فى الأرض جبالاً رواسخ ، خشية أن تميد بكم ، أى تضطرب بكم ، ونشر فيها من كل حيوان ، وأنزل من السماء ماء ، فأنبت به فيها من كل صنف كريم من النبات . قال للكفار : هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين تعبدونهم من دونه ، بل الظالمون فى ضلال مبين .

٢٠٨ — (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) ١٣

واذكر يامحمد : إذ قال لقمان لابنه وهو يعظه : يابنىّ لا تشرك بالله فإن تسوية من لانعمة إلا منه ، بمن لانعمة له أصلاً ظلم عظيم .

سورة السجدة

٢٠٩ — (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ) ٢٢

ومن أظلم ممن ذكر بآيات الله ثم أعرض عنها لاهياً ، أو مستكبراً ؟ إنا من المجرمين لمنتقمون .

سورة الأحزاب

٢١٠ — (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً) ٧٢

إنا عرضنا الطاعة والقيام بأعباء تكاليفنا على السموات والأرض والجبال فامتنعن من حملها ، وخفن من تبعاتها ، وحملها الإنسان بما منحه الله من القوى الأدبية للوفاء بها ، إنه كثير الظلم والجهل ، إذا لم يَفِ بحقوقها ، ولم يقم بواجباتها .

سورة سبأ

٢١١ — (فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) ١٩

يقول الله تعالى فى الآيات السابقة : إن بنى سبأ (وهم أولاد يشجب من قبائل اليمن) كانت لهم جنتان ، أى بستانين تؤتيهم رزقاً حسناً ، فأعرضوا عن شكر الله ، فأرسل عليهم سيلاً شديداً ، وبدل الجنتين بغيرهما ، لها ثمر بشع ، وشجر لاثمر فيه ، فطلبوا من الله أن يباعد بين أسفارهم من مفاوز ووديان ، ليظهروا بأبهة الثروة ، ويتطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل ، فبطروا هذه النعمة ، ففرقناهم كل تفريق ، وجعلناهم أحاديث للناس ، إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور .

٢١٢ — (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ،

وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ) ٣١

وقال الذين كفروا : لن نؤمن بهذا القرآن ، ولا بالكتب التى بين يديه ، أى السابقة له ، ولو ترى حين يقف الظالمون أمام ربهم يتحاورون ، فيراجع بعضهم بعضاً ، كل منهم يلقى التبعة على الآخر ؛ فيقول الذين استضعفوا فى الدنيا للذين أضلوهم : لولا أنكم أوقعتمونا فى الكفر لكنا مؤمنين .

٢١٣ — (فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا : ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ) ٤٢

فاليوم (أى يوم القيامة) لا يملك بعضكم لبعض جلب نفع ، ولا دفع ضر ، ونقول للذين ظلموا : ذوقوا عذاب النار التى كنتم لا تصدقون بوجودها .

سورة فاطر

٢١٤ — (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) ٣٢

ثم أورثنا الكتب السماوية الذين اصطفيناهم من عبادنا من العلماء والحكماء ، فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير فى العمل به ، ومنهم معتدل يعمل به على قدر إمكانه ، ومنهم سابق إلى الخيرات يجمع بين العلم والعمل بإذن الله ، وذلك السبق هو الفضل الكبير من الله .

٢١٥ — (وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ) ٣٧

وجاءكم النذير يخوفكم من عاقبة تماديكم فى الباطل ، فذوقوا العذاب ، فما للظالمين من نصير يدفعه عنهم .

٢١٦ — (بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا) ٤٠

بعد أن يسأل الله الكافرين عن شركائهم ، وعما خلقوا من الأرض ، وعما إذا كان أتاهم كتاب ينطق بأن الله اتخذ شركاء — يقول لهم : بل ما يعد الظالمون بعضهم بعضاً فى شفاعة هؤلاء الشركاء إلا غروراً .

سورة يس

٢١٧ — (فَالْيَوْمَ لاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلاَ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) ٥٤

فاليوم (أى يوم القيامة) لاتظلم نفس شيئاً ، ولا تجزون إلا ثواب عملكم .

سورة الصافات

٢١٨ — (أُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ . مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ) ٢٢ ٢٣

يوم القيامة ، (وهو يوم الحكم بين الخلائق والفصل فى أمرهم) ، يقول الله للملائكة : أجمعوا الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم وما كانوا يعبدون من الآلهة ، فقودوهم إلى طريق الجحيم (طريق جهنم) وقفوهم أمامنا إنهم مسئولون عن أعمالهم .

٢١٩ — (إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ) ٦٣

فى يوم القيامة يكون للمؤمنين الفوز العظيم فى الجنة ، ويقول الله للذى كفر بالبعث : أهذا أفضل نعمة من الله لعبده ، أم شجرة الزقوم التى جعلناها عذاباً للظالمين ؟ وهى شجرة تنبت فى قاع جهنم ثمرها كأنه رؤوس الشياطين .

٢٢٠ — (وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحٰقَ ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ) ١١٣

بعد أن بشر الله إبراهيم بإسحٰق نبيًّا من الصالحين قال : وباركنا عليهما (أى على إبراهيم وإسحق) ومن ذريتهما من هو محسن فى أعماله كريم ، وظالم لنفسه ذميم .

سورة ص

٢٢١ — (قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ ، وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَاهُمْ) ٢٤

لما أمر الله الملائكة بالدخول على (داود) وفزع منهم قالوا له : لاتخف نحن خصمان ، بغى بعضنا على بعض ، وقص عليه أحدهما أمر النعاج ، وطلب منه أن يحكم بينهما بالحق ، فقال له : لقد ظلمك أخوك بطلب ضمّ نعجتك إلى نعاجه ، وإن كثيراً من الأصحاب والخلطاء ليبغى بعضهم على بعض ، إلا المؤمنين الذين يعملون الصالحات، وقليل وجودهم .

سورة الزمر

٢٢٢ — (أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) ٢٤

يقول الله تعالى : أفمن يتقى بوجهه عذاب السوء فى الآخرة ، لأن يده تكون مغلولة إلى عنقه؛ كمن هو آمن منه ؟ وقيل لهم : ذوقوا ما كنتم تعملون .

٢٢٣ — (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ) ٣٢

فمن أظلم من رجل كذب على الله وكذب بالحق إذ جاءه أليس فى جهنم منزل للكافرين

٢٢٤ — (وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) ٤٧

فى يوم القيامة لو ملك الذين ظلموا أنفسهم مافى الأرض جميعاً ومثله معه لهان عليهم أن يبذلوه لفداء أنفسهم به من شدة العذاب ، وظهر لهم من الله مالم يكن يخطر على بالهم من وبال ما كانوا يقترفون .

٢٢٥ — (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ٦٩

وأشرقت الأرض بنور ربها ، أى بعدل ربها (يوم ينفخ فى الصور) ووضع الكتاب (كتاب الحساب) وجيء بالنبيين والشهداء الذين يشهدون للأمم وعليها من الملائكة والناس ، وقضى الله بينهم بالحق وهم لايظلمون .

سورة المؤمن

٢٢٦ — (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ) ١٨

وأنذرهم يوم الآزفة (يوم القيامة) حيث ترتفع القلوب من أماكنها حتى تلحق بالحناجر من شدة الهول ممسكين على الفم، مالهم من قريب شفيق يعطف عليهم، ولاشفيع يشفع لهم فتثمر شفاعته.

٢٢٧ — (مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ، وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ) ٣١

لما قال فرعون لقومه: ما أشير عليكم إلا بما أستصوبه، وما أرشدكم إلا إلى سبيل الصواب، قال الذى آمن: يا قوم إنى أخاف عليكم إن تعرضتم له مثل ما أصاب الأمم الماضية مثل قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم، وما الله يريد ظلماً للعباد.

٢٢٨ — (يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) ٥٢

يوم القيامة هو اليوم الذى لاينفع الظالمين اعتذارهم، ولهم لعنة الله وجهنم يدخلونها جزاء كفرهم.

سورة فصلت

٢٢٩ — (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ) ٤٦

من عمل صالحاً فإنما نفعه لنفسه، ومن أساء فإساءته على نفسه، ومار بك بظلام للعبيد

سورة الشورى

٢٣٠ — (وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـٰكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ) ٨

ولو شاء الله لجعل هذه الخلائق أمةً واحدةً، ولـكنه قضى لحـكمة اختص بها هو

بعلمها أن يدخل بعضهم فى رحمته ، ويترك الظالمين وشأنهم لاولىّ لهم ولا نصير .

٢٣١ — (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ ، وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ٢١

يقول الله تعالى : ألهم شركاء شرعوا لهم ديناً لم يعلم به الله ، ولولا كلمة القضاء السابق بتأجيل العذاب لقضينا بينهم بإهلاك المبطلين ، وأن الظالمين لهم عذاب أليم .

٢٣٢ — (تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ ، لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) ٢٢

ترى الظالمين فى الآخرة خائفين مما عملوه ، وو باله واقع بهم ؛ أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى حدائق الجنات يتمتعون ، وذلك هو الفضل الكبير .

٢٣٣ — (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) ٤٠

وجزاء الفعلة السيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح ما بينه و بين عدوه فأجره على الله إنه لايحب الظالمين .

٢٣٤ — (وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) ٤١

ومن انتصر لنفسه من بعد ماظلم ، فأولئك لا سبيل إلى معاقبتهم أو معاتبتهم .

٢٣٥ — (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ٤٢

إنما العتاب أو العقاب على الذين يظلمون الناس و يفسدون فى الأرض بغير الحق ، أولئك لهم عذاب أليم .

٢٣٦ — (وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ ، وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ) ٤٤

ومن يضلل الله فما له من ولىّ يهديه من دونه ، وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون : هل إلى رجعة فى الدنيا من سبيل ؟

٢٣٧ — (وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ، وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ) ٤٥

وتراهم يعرضون عليها (أى على النار) وهم خاشعون من الذل ، ينظرون إلى النار اختلاسًا ذعراً منها .

ويقول الذين آمنوا حينذاك : إن المضيِّعين على الحقيقة ، هم الذين ضيعوا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، ألا إن الظالمين أنفسهم فى عذاب دائم .

سورة الزخرف

٢٣٨ — (وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) ٣٩

بعد أن قال : ومن يتعامَ عن ذكر الرحمٰن نقدر أونتح له شيطاناً فهو يظل قرينًا له ، يوسوس له ، ويغويه على إتيان المنكرات ، وإن هؤلاء الشياطين ليمنعونهم عن طريق الدين والخير ، وهم يحسبون أنهم مهتدون حتى إذا جاءنا أحدهم قال المتعامى عن ذكر الله للشيطان : ياليت كان بينى وبينك بُعد المشرقين ، فبئس القرين أنت ؟

قال الله تعالى بعد ذلك : ولن ينفعكم اليوم وقد صح أنكم ظلمتم أنفسكم ، وأنكم الآن فى العذاب مشتركون .

٢٣٩ — (فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ) ٦٥

لما جاء عيسى بنى إسرائيل بالآيات الواضحات قال لهم : قد جئتكم بالحكمة ، ولأبيِّن لكم بعض الذى تختلفون فيه من أمور الدين ، فخافوا الله وأطيعونى ، إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه ، وهذا طريق قويم لايضل السالك فيه .

فاختلفت الفرق المتحزبة من بينهم ، أى من بين النصارى أو اليهود والنصارى ، فالويل والهلاك للذين ظلموا من عذاب يوم أليم .

٢٤٠ — (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَـٰكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ) ٧٦

يقول الله تعالى : إن المجرمين فى عذاب جهنم خالدون ، لا يخفف عنهم ، وهم فيه آيسون ساكتون ، وما ظلمناهم بإدخالهم النار ، ولـكن كانوا هم الظالمين .

سورة الجاثية

٢٤١ — (إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ) ١٩

يقول الله تعالى : إنا جعلناك يامحمد على طريقة من أمر الدين فاتبعها ، ولا تتبع أهواء الجاهلين ، إن هؤلاء الجاهلين لن يدفعوا عنك من مؤاخذة الله شيئاً ، وأن الظالمين يتولى بعضهم بعضاً ، والله يتولى المتقين فيأخذ بيدهم ولايدعهم يهلـكون .

٢٤٢ — (وَخَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ٢٢

وخلق الله الوجود ملتبساً بالحق ، ليدل به على قدرته ، ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون .

سورة الأحقاف

٢٤٣ — (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ، إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ١٠

قل لهم يامحمد : أخبرونى إن كان هـذا القرآن من عند الله وكفرتم به ، وقد شهد شاهد من بنى إسرائيل هو (عبد الله بن سلام) على كونه من عنـد الله ، فآمن هو واستكبرتم ، ألا تكونوا ظالمين ؟ . وأن الله لا يهدى القوم الظالمين

٢٤٤ — (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً ، وَهَٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ بُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ) ١٢

ومن قبل القرآن كتاب موسى (التوراة) إماماً للناس ورحمةً بهم ، وهذا كتاب مصدِّق له بلسان عربى ، لينذر الذين ظلموا و بشرى للمحسنين .

٢٤٥ — (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا ، وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ١٩

ولكل (من الجن والإنس) مراتب مما عملوا ، وليوفيهم الله جزاء أعمالهم ، وهم لا يظلمون .

سورة الحجرات

٢٤٦ — (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ، وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ١١

يقول الله تعالى : يأيها الذين آمنوا لا يستهزئ قوم بقوم عسى أن يكونوا عند الله خيرا منهم ، ولا يستهزئ نساء بنساء عسى أن يكنّ خيراً منهن ، ولا يطعن بعضكم على بعض ، ولا تتعايروا بألقاب السوء ، بئس الاسم أن تسموا فاسقين بعد أن تكونوا مؤمنين ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون .

سورة قَ

٢٤٧ — (مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ، وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) ٢٩

يقول الله تعالى : لا تتخاصموا لدىّ ، وقد أسلفت لكم التهديد ، مايتبدل القول عندى ، وما أنا بظلام للعبيد .

سورة الذاريات

٢٤٨ — (فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ) ٥٩

فإن للذين ظلموا أنفسهم نصيباً من العذاب مثل نصيب أصحابهم فلا يستعجلون ، فإن حكمتى تقتضى أن أؤخره إلى يوم معلوم .

سورة الطور

٢٤٩ — (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) ٤٧

وإن للظالمين لعذاباً أقرب من عذاب يوم القيامة ، وهو فشلهم وتغلب المؤمنين عليهم ولكن أكثرهم لايعلمون .

سورة النجم

٢٥٠ — (وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ) ٥٢

يقول الله تعالى : إنه أهلك عادا وثمود وقوم نوح من قبل ، إنهم كانوا هم أظلم الناس وأطغى .

سورة الحشر

٢٥١ — (فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ) ١٧

يقول الله تعالى : مثل المنافقين فى إغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر ، فلما كفر تبرأ منه قائلا : إنى أخاف الله رب العالمين ، فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها ، وذلك جزاء الظالمين .

سورة الممتحنة

٢٥٢ — (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ٩

ينهاكم الله عن مودة الكافرين الذين قاتلوكم وأخرجوكم من وطنكم ، وأعانوا غيرهم على إخراجكم أن تعدوهم أولياء ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون .

سورة الصف

٢٥٣ — (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ ؟ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ٧

ومن أظلم ممن اختلق على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام ؟ والله لا يهدى القوم الظالمين .

سورة الجمعة

٢٥٤ — (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ ، وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ٥

مثل الذين كلفوا بالعمل بالتوراة ، والقيام على صراطها ، ولم يرفعوا بذلك رأساً ، ولم يقوموا بما عهد إليهم من ذلك ، كمثل الحمار يحمل على ظهره كتباً ينقلها من مكان إلى آخر ، وهو لا يدرى مافيها من كنوز المعارف ، فبئس الذين يكذبون بآيات الله ، والله لا يهدى القوم الظالمين .

٢٥٥ — (وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) ٧

قل يا محمد : يأيها اليهود ؛ إن ادعيتم أنكم أولى بالله من دون الناس وهو أولى بكم فتمنوا الموت إن كنتم صادقين .

أنهم لا يتمنونه أبداً بسبب ماقدمت أيديهم من الآثام ، والله عليم بالظالمين .

سورة الطلاق

٢٥٦ — (وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا) ١

بعد أن بين الله الأحكام الشرعية فى الطلاق قال : تلك حدود الله فمن يتعدّها فقد

ظلم نفسه ، إنك لا تدرى أيها المطلق ، لعل الله يخلق لك حالاً جـديدةً ، فترغب فى استرداد مطلقتك .

سورة التحريم

٢٥٧ — (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ١١

مثّل الله حال المؤمنين فى أن اتصالهم بالكافرين لا يضرهم بحال آسية امرأة فرعون إذ قالت : رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة ، ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين

سورة القلم

٢٥٨ — (قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) ٢٩

كان لرجل بستان (قرب صنعاء باليمن) ينادى الفقراء وقت قطع البلح منه ، ويترك لهم ما أخطأه النخل أوألقته الريح فيجتمع لهم شئ كثير .

فلما مات لم يرد أبناؤه أن يقتدوا به ، فحلفوا إنهم ليقطعون ثمرات النخل وهم داخلون البستان فى الصباح ، ولا يقولون: إن شاء الله ، فطاف عليها طائف فأهلك ثمرها ، وجعلها كالنخل المنزوع المنزوع ثمره عقاباً لهم .

فنادى بعضهم بعضاً وهم داخلون فى الصباح : اخرجوا وقت الغداة ، أى أول ساعات النهار إلى زرعكم إن كنتم تريدون قطع ثمر نخلكم،وهم يخفون أصواتهم حتى لا يعلم بهم أحد من المساكين .

وانطلقوا فى الغداة وهم قادرون على نكد لاغير ، فلما رأوا الجنـة (البستان) بهذه الحال قالوا : إنا لضالون (أى تائهون عن طريقها) بل نحن محرومون (أى بل حرمنا خيرها بجنايتنا) .

وقال أوسطهم رأياً أوسنّاً (ألم أقل لكم لولا تسبحون) . ألم أقل لكم حين عزمتم على حرمان الفقراء : هلا تسبحون الله ، أى تتذكرونه وتتوبون إليه .

قالوا : سبحان ربنا إنا كنا ظالمين لأنفسنا بإيثار الشح على الإنفاق .

سورة نوح

٢٥٩ — (وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا) ٢٤

وقد أضلت هذه الأصنام كثيرًا من الناس فلا تزد الظالمين إلا ضلالاً .

٢٦٠ — (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا) ٢٨

رب اغفر لى ولوالدىّ ولمن دخل بيتى مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات إلى يوم القيامة ، ولا تزد الظالمين إلا هلاكاً .

سورة الدهر

٢٦١ — (يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) ٣١

يدخل الله من يشاء من عباده فى محبوحته (رحمته) وقد هيأ للظالمين عذاباً شديداً .

أحاديث فى النهى عن الظلم

١ — عن أبى ذرّ رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال : « يَاعِبَادِى إِنِّى حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِى ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلاَ تَظَالَمُوا » . (رواه مسلم والترمذى)

٢ — وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ » . (رواه مسلم وغيره)

٣ — وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . (رواه البخارى ومسلم والترمذى)

٤ — وعن أبى هريرة رضى الله عنه يبلغ به النبىَّ صلى الله عليه وسلم قال :

« إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ ، فَإِنَّ الظُّلْمَ هُوَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ ، فَإِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْفَاحِشَ وَالْمُتَفَحِّشَ ، وَإِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ دَعَا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَسَفَكُوا دِمَاءَهُمْ ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ » .

(رواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم)

٥ — وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« لاَ تَظْلِمُوا فَتَدْعُوا فَلاَ يُسْتَجَابَ لَكُمْ ، وَتَسْتَسْقُوا فَلاَ تُسْقَوْا ، وَتَسْتَنْصِرُوا فَلاَ تُنْصَرُوا » . (رواه الطبرانى)

٦ — وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول :

« الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ » . (رواه أحمد بإسناد حسن)

٧ — وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ اللهَ لَيُمْلِى لِلظَّالِمِ فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ » ثم قرأ : (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ

إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) . (رواه البخارى ومسلم والترمذى)

٨ — وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ طَوَّقَهُ اللهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ » . (رواه البخارى ومسلم)

٩ — وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ ظُلَامَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضٍ أَوْ مِنْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ ، أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِّلَ عَلَيْهِ » .

(رواه البخارى والترمذى وسيأتى شرحه)

١٠ — وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ ، التَّقْوَى هَاهُنَا ، التَّقْوَى هَاهُنَا ، التَّقْوَى هَاهُنَا (ويشير إلى صدره) بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ » (رواه مسلم)

أحاديث فى القاضى الظالم والإمام الجائر

١ — عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول :

« أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَقْبَلُ اللهُ صَلَاةَ إِمَامٍ جَائِرٍ » . (رواه الحاكم)

٢ — وعن ابن أبى أوفى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ اللهَ مَعَ الْقَاضِي مَالَمْ يَجُرْ ، فَإِذَا جَارَ تَخَلَّى عَنْهُ وَلَزِمَهُ الشَّيْطَانُ » .

(رواه الترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم) إلا أنه قال : « فَإِذَا جَارَ تَبَرَّأَ اللهُ مِنْهُ » .

٣ — وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : « يُؤْتَى بِالْقَاضِي الظَّالِمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُوقَفُ عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ ، فَإِنْ أُمِرَ بِهِ وَقَعَ فَهَوَى فِيهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا » .

(رواه ابن ماجه والبزار)

٤ — وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« مَنْ وُلِّيَ أُمَّةً مِنْ أُمَّتِي قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ فَلَمْ يَعْدِلْ فِيهِمْ ، كَبَّهُ اللهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ » . (رواه الطبراني)

٥ — وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« مَامِنْ أَمِيرِ عَشِيرَةٍ إِلاَّ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولاً لاَ يَفُكُّهُ إِلاَّ الْعَدْلُ » .

(رواه أحمد بإسناد جيد)

٦ — وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنِّي أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ أَعْمَالٍ ثَلاَثَةٍ ، قالوا : ما هيَ يارسولَ اللهِ قال : زَلَّةُ عَالِمٍ ، وَحُكْمُ جَائِرٍ ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ » . (رواه البزار والطبراني)

ومن الأدعية المأثورة : «رب إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً فاغفر لي، فمن يغفر الذنوب إلا أنت » ؟

ذكر ماجاء في ذم الظلم والنهي عنه والتحذير منه

جاء في الخبر : « بِئْسَ الزَّادُ إِلَى الْمَعَادِ ظُلْمُ الْعِبَادِ » .

وقيل : الظلم مرتعه وخيم .

وقيل : ليس شيء أقرب من تغيير نعمة ، وتعجيل نقمة من الإقامة على الظلم .

وقيل في قوله تعالى : (وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) . وعيد للظالم وتعزية للمظلوم .

وقيل : على الظالم أن يكون وَجِلاً ، وعلى المظلوم أن يكون جذلاً (فرحًا) .

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامل له : إذا دعتك قدرتك إلى ظلم الناس ، فاذكر قدرة الله عليك .

ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فقال : اذكر يا أمير المؤمنين يوم الأذان . قال: فما يوم الأذان؟ قال: اليوم الذي قال الله تعالى فيه: (فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) فبكى سليمان وأزال ظلامته .

وقيل : احذروا دعوة المظلوم فإنها لينة الجواب ، سريعة الحساب .

وقيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : كان الرجل فى الجاهلية يُظلَم فيدعو على من ظلمه فيجاب عاجلاً ، ولا نرى ذلك فى الإسلام .

فقال عمر : هذا كان حاجزاً بينهم و بين الظلم ، وإن موعدكم الساعة والساعة أدهى وأمرّ

وقيل : إنما يندمل من المظلوم جراحُه،إذا انكسر من الظالم جَناحه .

وقال المأمون لبعض ولاته: لاتظلم لى فيسلطنى الله عليك.وهذا ينطبق عليه المثل:من أعان ظالماً سلطه الله عليه .

وقال ابن عباس : ليس للظالم عهد إن عاهدته ، فإن الله تعالى يقول : (لَا يَنَالُ عهدى الظالمين) .

التعوذ من الظلم

كان من عادة النبى صلى الله عليه وسلم إذا خرج من بيته يقول : « بِسْمِ اللهِ وَبِاللهِ . اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ أَوْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَىَّ » .

عذر المظلوم إذا جهر بالسوء

قال بعضهم لسلطان : إنى و إن خشنت فى المقال فقد عذر الله المظلوم إذا جهر بالسوء طلباً للنصفة من ظالمه حيث قال : (لَا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ)

عادة الناس ظلم من استضعفوه

قيل : الظلم كمين فى النفس تظهره القوة ، و يخفيه الضعف .

قال المتنبى : والظلم فى خلق الرجال فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

وقيل : والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذاعفة فلعلة لايظلم

ظالم ومتظلم

قال الشعبى : حضرت مجلس شريح ، فجاءته امرأة تخاصم زوجها باكية ، فقلت : ما أظنها إلا مظلومة .

فقال : إن إخوة يوسف عليه السلام جاءوا أباهم عشاء يبكون وهم ظالمون .

أمثلة فى الظلم

قيل : فلان أظلم من حية ، لأنها تحفر الجحر ، بل تسلب جحر غيرها فتدخل .

وقيل : أظلم من ذئب .

وقيل : أعدى من الدهر ومن التمساح . وقيل : الفتنة غرس الظلم .

وقيل : ما أظلم الإنسان للإنسان!.

أحاديث اتقاء دعوة المظلوم

١ — عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معاذا إلى اليمن فقال : « اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ » .

(رواه البخارى ومسلم وسيأتى شرحه)

٢ — وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ : الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ، يَرْفَعُهَا اللهُ فَوْقَ الْغَمَامِ ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ ، وَيَقُولُ الرَّبُّ : وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ » . (رواه أحمد)

٣ — وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهَا تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ كَأَنَّهَا شَرَارَةٌ » .

(رواه الحاكم)

فى نصر الظالم والمظلوم

١ — عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، قالوا : يا رسولَ اللهِ ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا ، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ فقالَ : تَأْخُذُونَ فَوْقَ يَدَيْهِ » .

(رواه البخارى ومسلم والترمذى، وسيأتى شرحه)

فى النهى عن إعانة الظالم

١ — روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا بِبَاطِلٍ لِيُدْحِضَ بِهِ حَقًّا فَقَدْ بَرِئَ مِنْ ذِمَّةِ اللهِ وذِمَّةِ رَسُولِهِ»
(رواه الطبرانى)

٢ — وروى عن أوس بن شرحبيل أحد بنى أشجع ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ لِيُعِينَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ » (رواه الطبرانى)

فى اغتصاب الأراضى

عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
« مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ طَوَّقَهُ اللهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ » .
(رواه البخارى ومسلم)

الشرح

الظلم حرام قليله وكثيره ، وسرقة الأرض وغصبها باب من أبواب الظلم ، شبراً كان المأخوذ أوذراعاً ، قصبةً كان أوفداناً ، ملكاً للأفراد أومن المنافع العامة، لما رواه أبو يعلى بإسناد عن الحكم بن الحارث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« مَنْ أَخَذَ مِنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ شِبْرًا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ » .

فالذين يأكلون من الطرق الخاصة أوالعامة فى المبانى أوالمزارع ، أو يأخذ من جسور السكك الحديدية ، أومن شواطئ الأنهار والترع كل أولئك ظلمة غصبة .

وكذلك الذين يُغيِّرون معالم الضياع ، أو أراضى البناء ، ويزحزحون حدودها عن أماكنها ، ليضموا إلى ملكهم من أملاك غيرهم .

وقد بيَّن الرسول صلى الله عليه وسلم أن من ظلم مقدار شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين ، أى ألزم إثم ذلك ، ولم يكن له مفرّ من عقابه ؛ فليس معنى التطويق أن يجعل

ذلك طوقاً له يوم القيامة يحيط بعنقه ، أوأن يكلف نقل تراب ذلك الشبر من سبع أرضين تعذيبًا له ؛ وإنما الغرض لزوم الإثم له لزوم الطوق ، وأخذ العذاب الشديد بخناقه ، وليس العقاب على سطح ما أخذه ليزرع فيه ، أو يبنى عليه فقط ، بل العقاب على ما اغتصبه بالغًا فى جوف الأرض وطبقاتها أقصاها ؛ وهذا يفيد أن السفل تابع للسطح كما أن العلو تابع له ، ولذلك استنبط الفقهاء من هذا الحديث : أن من ملك ظاهر الأرض ملك باطنها بما فيه من حجارة ثابتة ، وأبنية ومعادن ، وعيون ومنابع ، وغير ذلك .

وله أن ينزل بالحفر ماشاء مالم يضر بجيرانه ، فإنه لا ضرر فى هذا الدين ولا ضرار ؛ وله أن يمنع من يريد حفر بئر أوسرداب تحت أرضه يسلكه ، أو ليسير فيه عربات أوقطارات ، وكذلك له منع الأنابيب وأسلاك البرق والكهرباء أن تمد تحت ملكه .

والمراد بالأرضين هنا طبقات الأرض السبع التى نبه إليها القرآن قال تعالى : (اللهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) . وليعلم القارئ أن الاعتداء على الحدود كثيراً ماسبب مشاكل خطرة ، وقضايا عديدة ، بل كثيرًا ما أريقت فيه دماء ، وأنفقت فى سبيله خزائن الأموال ؛ فلو أن الناس عملوا بهذا الحديث ، ووقف كلٌّ عند حده ، ماوقعنا فى هذه البلايا ، بل لأرحنا الحكومة ، وخففنا عن مصلحة المساحة ، ولم نثقل عبء المالية بما تنفقه من مئات الآلاف فى سبيل إقامة الأعلام الحديدية ، بل كنا نقتصد ذلك من هذا الباب لينفق فى أبواب أخرى ، كتعبيد الطرق ، وشق الترع ، وإقامة السدود والقناطر ، وردم البرك ، وغير ذلك مما يساعد على تنمية الثروة ، ويخفف عن الفلاح عبأه .

وبعد : فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، وفى الدنيا نزاع وعداوة ، ومتلفة وخسارة ، والطمع غبُّه الندم ، فلا تدنس نفسك الطاهرة برجسه ، ولا تفسد أرضك بشبره ، فتنتابها الأمراض الزراعية ، ويرسل الله عليها من جنوده الخفية ، فإذا بالثمر قليل ذاهب بالبركة ، وقليل فى عفة ، خير من كثير فى نهمة .

(الأدب النبوى الحديث ٢٧)

حديث فى التحلل من المظالم فى الدنيا

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ » . (رواه البخارى)

الشرح

ما أجمل العدل ، وإيتاء كل ذى حق حقه ! وما أحسن الوئام يجمع شمل المسلمين ، ويقوّى رابطتهم ، ويشد أواصر وحدتهم ! .

وما أجدرهم أن يصدروا فى أعمالهم عن حب يتبادلونه ، وإخلاص يفيض عليهم هناءة وسعادة ! وما أشقاهم إذا لبسوا ثياب الغرور ، واضطبعوا بالإحن والبغضاء ، واستشعروا الغل والضغن ، كل يبغى الشر لأخيه ، ويود لو التهم ما فى يده ، وأودى بطارفه وتالده ، واستأثر دون الآخر بالخير ، ومرافق الحياة .

ماذا يرجو الظالم من ظلمه ؟ وماذا يرتجى لعاقبته ؟ وما الذى أعده يوم يقتص منه ، ويؤخذ للمظلوم بحقه ؟ أمن غرّه إقبال الأيام ، وابتسام الدهر له ، فليحذر تقلباته فإنها شديدة قاسية ، ولئن اغتر بقوة جسمه ، وامتداد سلطانه ، فسيذوق لطغيانه وتجبره مرارة الصاب والعلقم (يومَ يفرُّ المرء من أخيهِ وأمهِ وأبيهِ . وصاحبتهِ وبنيه . يومَ يعضُّ الظالمُ عَلَى يديه ويقولُ : ياليتنى اتخذتُ مَعَ الرسولِ سَبيلاً) ؟ .

هنالك تنجاب عن العيون الغشاوة ، ويتفرق عن العاصى الأصحاب والأنصار ، ولا يبقى إلا ما أسلف من خير أو شر ، ويؤخذ بيد العاصى فينصب على رءوس الناس ، وينادى مناد : هذا فلان بن فلان فمن كان له حق فليأت ، فيأتون فيقول الرب :

آت هؤلاء حقوقهم ، فيقول : يارب فنيت الدنيا فمن أين أوتيهم ؟

فيقول للملائكة: خذوا من أعماله الصالحة، فأعطوا كل إنسان بقدر طلبته . وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ ، فَقَالَ : إِنَّ الْمُفْلِسَ مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَقَدْ شَتَمَ هٰذَا ، وَقَذَفَ هٰذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هٰذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هٰذَا ، وَضَرَبَ هٰذَا ، فَيُعْطَى هٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ » . (رواه الإمام مسلم)

الأدب النبوى — الحديث ١٢٠

حديث فى دعوة المظلوم

عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً إلى اليمن فقال : « اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ » .

(رواه البخارى ومسلم)

الشرح

هذا الحديث قطعة من وصية وصَّى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (معاذ بن جبل) حين بعثه إلى اليمن سنة عشر قاضياً عليها أو والياً قال له :

« إنك ستأتى قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فإياك وكرائم أموالهم (نفائسها) واتق دعوة المظلوم . الخ » .

دعوة المظلوم على ظالمه دعوة حقة ، وإنها لانتصار من ظالمه (وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) ؛ وهى دعوة حارة سخنت من نار الغضب ، صادرة من أعماق النفس ، فكانت فى السماء متصعدة ، شأن الهواء إذا سخن ، بعيدة المدى ، شأن القنبلة إذا أطلقت من مدفع بعيد الغور ، فما تزال تشق أجواز الفضاء لا يحجبها حاجب ،

ولا يردها صاد ، حتى تصل إلى السماء فتخترق طبقاتها ، وتنفذ من بنائها ، فيتقبلها ربها برداً وسلاماً لمن دعا ، ونارًا وجحيماً لمن ظلمه ، وكأن الرسول صلى الله عليه وسلم استنبط هذا المعنى من قوله تعالى : (لاَ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا عَلِيماً) .

فالدعوة مشروعة بقوله : إلا من ظُلم ، ومقبولة مسموعة بتعقيب الاستثناء بقوله : وكان الله سميعاً عليماً .

وقد جاء فى حديث رواه أحمد بسند حسن : قبول دعوة المظلوم و إن كان فاجرًا ، وأن فجوره على نفسه لايقف دون دعوته .

وجاء فى الحديث الصحيح : « أَنَّ إِجَابَةَ الدُّعَاءِ عَلَى ثَلاَثِ مَرَاتِبَ ، إِمَّا أَنْ يُجَابَ الدَّاعِي إِلَى مَا طَلَبَ ، وَإِمَّا أَنْ يُدَّخَرَ لَهُ أَفْضَلُ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ يُدْفَعَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلُهُ » .

فلا تعجب إذا لم تجب إلى عين ماطلبت وقد ظلمت ، فإن الله عليم حكيم ، قد تقتضى حكمته عدم الإجابة إلى ماسألت، والله يعلم وأنتم لاتعلمون .

وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم واليه وعامله و بعيثه وقاضيه من دعوة المظلوم ، وأمره أن يتخذ من دونها وقاية ، وما اتقاؤها إلا بتجنب أسبابها .

فلا يظلم أحدًا ممن تحت ولايته فى نفسه بإيذاء ، أوفى ماله بانتقاص كأن يأخذ فى الزكاة كرائم أمواله ، ونجائب حيوانه دون الوسط من ذلك ، فيوغر صدره ، ويسلّ لسانه ، ويبعث بدعوة المظلوم من قلبه ، ولا يحابى فى عمله الأغنياء ، ويعرض عن الفقراء ، ولايعفو عن ظالم لمكانة أو وجاهة ، ولا يقبل رشوة أو شفاعة فى باطل .

و إن كان قاضياً تجنب المحاباة ، ووزع بالمساواة ، وأخذ للضعيف من القوى ، وتحرّى الحق فى قضائه ، والعدل فى أحكامه ، إلى غير ذلك من آداب الولاة والقضاة ، فليكن قاضى الجنة ، والإمام العادل الذى يظله الله فى ظله يوم لاظل إلا ظله .

فيأيها القضاة والولاة ، ويأيها الحكام والرعاة ، خوّلكم الله رعيته ، وحمل تحت أيديكم

حقوقاً وأمانات ، فاتقوا الله فيها ، وأدوا الأمانات لأهلها ، ولا تنقصوا أحداً حقه ، ولا تبخسوا عاملاً عمله ، ولا تسلبوا مجداً أمله .

(إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) .

واعلموا أن من ظلمتم أوخذلتم ، فالله ناصره ومعينه ، ووليه وكفيله ، وإنه لمتقبل دعوته ، ومستمع شكايته ، ومنتقم ممن ظلمه ، وآخذ له منه حقه ، فاتقوا الديان ، واحذروا النكال (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) .

(الأدب النبوى — الحديث ٢٦)

حديث فى نصر الظالم والمظلوم

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، قالوا : يارسولَ اللهِ ، هٰذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا ، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ » . (رواه البخارى ومسلم والترمذى)

الشرح

لقد أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث بنصر الأخ ظالماً أو مظلوماً ؛ فالمظلوم فى حقه أوماله نمنع عنه الظلم ، ونرفع عنه الحيف بكل مانستطيع من الوسائل،فإن كان الكلام مجدياً فى ارعواء الظالم عن ظلمه آثرناه ، وإن كان القضاء هو السبيل لاسترداد الحق المسلوب ساعدناه بالمال رسماً للقضايا ، وأجراً للمحامين ، ومكافأة للخبراء.

وإن كان لايرتدع عن بغيه إلا بشكايته على صفحات الجرائد، أرهفنا له القلم ، وسودنا له الصحائف .

وإن كان غشوماً لا تردعه إلا القوة سلكنا سبيلها ، والمضطر يركب الصعاب ، والقصد أن تكون يدنا إلى يد المظلوم حتى يأخذ حقه ، ويبرد غضبه ، وتطمئن نفسه .

أما نصر الظالم فربما خِلته مساعدته على ظلمه ، أومجاراته فى عدوانه ، كما كان العرب يصنعون فى عهد الجاهلية .

إذا أنا لم أنصر أخى وهو ظالم على القوم لم أنصر أخى حين يظلم

وكما يصنع أولو العصبية والجهالة ، والمتهالكون فى الحزبية ، ينصرون شيعتهم بالحق وبالباطل ، وليس نصر الظالم ذلك ، بل تمنعه من الظلم ، فإن أراد استلاب مال أخذت بيديه ، وإن أراد اغتصاب حق حلت بينه وبينه ، وإن أراد البطش ببرىء ضربت على يده إن كانت يدك أقوى منها .

وتراعى الحكمة فى المنع لئلا ينقلب ظالماً لك ، وقد يكون شديد النكاية وأنت ضعيف الرماية ؛ فإن كانت النصيحة رادعة سلكت سبيلها ، فإن لم تك مجدية فاستعن عليه بمن هو أعلى منه ممن يخشى بأسه ، أويرهب سلطانه ، أو يرجو مصلحة عنده ، فإن لم يكن فى ذلك رادع ، فاستعمل معه القوة ما قدرت عليه ، حتى يعود إلى حظيرة الحق ، ويستقيم على النهج .

وإنما سمى الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك نصرًا وإعانةً مع أنه معاكسةً وعداوةً ، لأن ظلمه إضرار بنفسه فى حياته الحاضرة ، يعرّضها للعقوبات القضائية ، ويشين سمعتها بين البرية ، ويدنسها بالعيش من الحرام واستمراء الحقوق ، ويعرضها لعقوبة الله فى الحياة الآخرة ، بل فى الحياة الدنيا .

(وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) .

فمن أراد قتل نفس عدواناً وظلماً إذا أرخيت له العنان حتى ارتكب هذا الجرم الكبير عرّض نفسه للقصاص ، واستلاب الحياة ، فأعقب ذكرى سيئة ، وتاريخاً أسود ، ورمّل زوجه ، ويتّم ولده ، وأساء إلى أسرته ، وكان مثلاً سيئاً فى الباقين .

فإذا منعته من جرمه ، وضربت بسيفك على يده ، حفظت له الحياة ، وأبقيت على ذكراه ، وأنجيت أهله وولده ، وحفظت الشرف على أسرته ، فكان ذلك نصرًا مؤزّرًا ، بل كنت له الصديق فى ثوب العدو ، والحريص على خيره فى لباس الراغب فى شره .

فيأيها المسلم لاتجعل للظلم بين المسلمين وجوداً ، ولا ترفيهم ظالماً أومظلوماً ، بل اعمل على تمتع كل امرئ بحقوقه وطمأنينته على شئونه ، وآثر الحق والخير ، وإن أغضبت الجهول به ؛ فإنه لك بعد نعم الشكور .

« والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » .

(الأدب النبوى — الحديث ٢٤)

الموضوعات

١ — ذكر ماقيل فى الظلم أو الجور أو البغى

الظلم أوالجور أوالبغى ، هو الخروج عن العدل فى جميع الأمور ، كأخذ الأموال بغير حق ، والمطالبة بما لايجب من الحقوق والواجبات ، وتعدى حدود الله .

وهو أشد وطأة من الوباء ، وأكثر هولاً من الحريق ، وأعظم تخريباً من السيل ، وهو أذل للنفوس من ذل السؤال ؛ فهو أقوى أسباب انحلال الأمم وخذلانها ؛ فإذا فشا فى قوم ضعفت نفوسهم ، ومرضت قلوبهم ، واتخذوا الباطل ديدنهم ، ومحاربة الحق شعارهم ، فمنعوا الزكاة المفروضة ، وبخلوا بالمساواة المسنونة ، وبخسوا المكيال والميزان ، وحاربوا الملك الديان ، بأكلهم الربا ، وقبضوا أيديهم عن المكارم ، وعمت فيهم الأيمان الكاذبة ، والحيل فى البيع ، والخداع والتزوير والفسق فى المعاملة ، والمكر والحيلة فى القضاء والاقتضاء .

فمن كان متصفاً بهذه الصفات الدنيئة ، فبطن الأرض خير له من ظهرها .

وقد حرمه الله فى جميع الشرائع والأديان لأنه مفسد للمجتمع الإنسانى ، مقوّض لنظام العمران ، مبطل للمدنية والحضارة .

وإليك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وأقوال الصلحاء والعلماء والأدباء فى تقبيح الظلم والابتعاد عنه .

الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

الآيات القرآنية والأحاديث النبوية سبق ذكرها مع بيان تفسيرها وشرحها .

أقوال الصلحاء والعلماء والأدباء

١ — كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامل له : إذا دعتك قدرتك إلى ظلم الناس ، فاذكر قدرة الله عليك .

٢ — قال بعض الصلحاء : إذا ظلمت مَن دونك عاقبك مَن فوقك .

٣ — وقال آخر : من كثر ظلمه واعتداؤه قرب هلاكه وفناؤه . ومن طال تعديه ، كثرت أعاديه .

٤ — قال الإمام على كرم الله وجهه فى شعره المشهور :

أما والله إن الظلم شوم ... ولا زال المسىء هو الظلوم
إلى الديان يوم الدين نمضى ... وعند الله تجتمع الخصوم
سنعلم فى الحساب إذا التقينا ... غداً عند المليك مَن الملوم
سنقطع اللذاذة عن أناس ... من الدنيا وتنقطع الهموم

٥ — وقال أحد الشعراء الأدباء :

لاتكن ظالماً ولا ترضَ بالظلم ... وأنكر بكل ما يستطاع
يوم يأتى الحساب ما لظلوم ... (من حميم ولا شفيع يطاع)

٦ — وقال آخر :

وما من يد إلا ويد الله فوقها ... وما ظالم إلا سيبلى بأظلم

٧ — وقال غيره :

لاتظلمنّ إذا ما كنت مقتدراً ... فالظلم آخره يفضى إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

٨ — وكتب أبو العتاهية إلى هارون الرشيد على حائط السجن :

أما والله إن الظلم لؤم ... وما زال الظلوم هو الملوم

إلى ديان يوم الدين نمضى وعنـــد الله تجتمع الخصوم
ســـتعلم فى المعاد إذا التقينا غداً عند المليك من الظلوم

فلما بلغ الرشيد بكى بكاء شديداً ، ودعا أبا العتاهية فاستحله ، ووهبه ألف دينار ، وأطلقه من السجن .

٩ — وقال بعضهم: الظلم كمين فى النفس ، تظهره القوة ، ويخفيه الضعف .

وجاء فى الأمثال :

الظلم مرتعه وخيم ، أى عاقبته مذمومة وسيئة

ظلم الأقارب أشد مضضاً من وقع السيف .

البغى آخر مدة القوم ؟ أى الظلم إذا امتد مداه أذن بانقراض مدة القوم الظالمين .

كلام لين ، وظلم بيّن : يضرب لمن يكون قوله طيباً ، وفعله خبيثاً مذمومًا .

مسير بيت الظالم خراب : يضرب فى بيان عاقبة الظلم .

مال الناس كنّاس : يضرب لمن يسلب أموال الناس ظلماً بغير حق .

من أعان ظالماً سلطه الله عليه : يضرب للنهى عن معاونة الظالم .

دولة الظلم لا تدوم . الظلم ساعة والعدل إلى قيام الساعة .

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذاعفة فلعـــلة لا يظلم

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

وقال أحد الشعراء فى ذم (الباغى[1] الظالم) .

يأيها الباغى وظالم غـيره ما أنت إلا كالمسىء لنفسه
فغداً سيلقى الظالمون جزاءهم وينال كل ما جناه برمسه

زعم الذى ظلم العباد بأنه هو عادل تبًّا له فى زعمـه
الظلم دولته تدوم لساعـة والمرء مجزى بعقبى ظلمه

(١) على الباغى تدور الدوائر .

يا ظالمًا كُفَّ المظالم قد كفى ولتتق المظلوم فى دعواته
ضجت ملائكة السماء لربها لأنين مظلوم وطول شكاته

فليصبر المظلوم عما ناله فالله ينصره برغم ظلومه
والظالمون و إن تناهى أمرهم فالحق مصليهم بنار جحيمه

كوم النور (يوسف عبد الخالق سلامه)
مجلة الاسلام العدد ٣١ من السنة الرابعة

٢ — الظلم مؤذن بخراب العمران

اعلم أن العدوان على الناس فى أموالهم ذاهب بآمالهم فى تحصيلها وا كتسابها ، لما يرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم ، و إذا ذهبت آمالهم فى ا كتسابها وتحصيلها ، انقبضت أيديهم عن السعى فى ذلك ، وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعى فى الا كتساب .

فإذا كان الاعتداء عامًّا فى جميع أبواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك ، لذهابه بالآمال جملةً بدخوله من جميع أبوابها .

و إن كان الاعتداء يسيرًا كان الانقباض عن الكسب على نسبته . والعمران ووفوره ونفَاق (رواج) أسواقه إنما هو بالأعمال ، وسعى الناس فى المصالح والمكاسب ذاهبين وجائين ؛ فإذا قعد الناس عن المعاش ، وانقبضت أيديهم عن المكاسب ، كسدت أسواق العمران ، وانتقضت الأحوال ، وابذعرَّ الناس (تفرقوا وفروا) فى الآفاق من غير تلك الإيالة (الأودية) فى طلب الرزق فيما خرج عن نطاقها ، نخف ساكن القطر ، وخلت دياره ، أوخربت أمصاره ، أواختل باختلاله ، حال الدولة والسلطان ، لما أنها صورة للعمران ، تفسد بفساد مادتها ضرورة .

وانظر فى ذلك ماحكاه المسعودى فى أخبار الفرس عن (الموبذان) صاحب الدين عندهم أيام بَهرام بن بَهرام ، وماعرض به للملك فى إنكار ما كان عليه من الظلم والغفلة عن عائدته على الدولة بضرب المثال فى ذلك على لسان (البوم) حين سمع الملك أصواتها ، وسأله عن فهم كلامها ؟ فقال له :

إن (يوماً ذكراً) يروم الاقتران (ببومة أنثى) ، وإنها شرطت عليه عشرين قرية فى الخراب فى أيام بَهرام فقبل شرطها وقال لها :

إن دامت أيام الملك أقطعتك ألف قرية ، وهذا أسهل مرام ، فتنبه الملك من غفلته وخلا(بالموبذان) ، وسأله عن مراده فقال له :

أيها الملك ، إن الملك لايتم عزه إلا بالشريعة ، والقيام لله بطاعته ، والتصرف تحت أمره ونهيه ، ولاقوام للشريعة إلا بالملك ، ولا عز للملك إلا بالرجال ، ولا قوام للرجال إلا بالمال ، ولا سبيل إلى المال إلا بالعمارة ، ولا سبيل إلى العمارة إلا بالعدل ، والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الرب ، وجعل له قيماً وهو الملك ، وأنت أيها الملك عمدت إلى الضياع ، فانتزعتها من أربابها وعُمّارها ، وهم أرباب الخراج ، ومَن تؤخذ منهم الأموال ، وأقطعتها الحاشية والخدم وأهل البطالة ، فتركوا العمارة ، والنظر فى العواقب ، ومايصلح الضياع ، وسومحوا فى الخراج لقربهم من الملك ، ووقع الحيف على من بقى من أرباب الخراج ، وعُمّار الضياع ، فانجلوا عن ضياعهم ، وخلوا ديارهم ، وآووا إلى ماتعمر من الضياع فسكنوها فقلّت العمارة ، وخربت الضياع ، وقلّت الأموال ، وهلكت الجنود والرعية ، وطمع فى ملك فارس من جاورهم من الملوك لعلمهم بانقطاع المواد التى لاتستقيم دعائم الملك إلا بها .

فلما سمع الملك ذلك أقبل على النظر فى ملكه ، وانتزعت الضياع من أيدى الخاصة ، وردت على أربابها ، وحملوا على رسومهم السالفة ، وأخذوا فى العمارة ، وقوى من ضعف منهم ، فعُمرت الأرض ، وأخصبت البلاد ، وكثرت الأموال عند جباة الخراج ، وقويت الجنود ، وقطعت مواد الأعداء ، وشُحنت الثغور ، وأقبل الملك على مباشرة أموره بنفسه ، فحسنت أيامه ، وانتظم ملكه .

فتفهم من هذه الحكاية أن الظلم مخرب للعمران ، وأن عائدة الخراب فى العمران على الدولة الفساد والانتقاض .

ولا تنظر فى ذلك إلى أن الاعتداء قد يوجد بالأمصار العظيمة من الدول التى هى بها ، ولم يقع فيها خراب .

واعلم أن ذلك إنما جاء من قبل المناسبة بين الاعتداء وأحوال أهل المصر ، فلما

كان المصر كبيراً ، وعمرانه كثيراً ، وأحواله متسعة بما لاينحصر ، كان وقوع النقص فيه بالاعتداء والظلم يسيراً .

لأن النقص إنما يقع بالتدريج ، فإذا خفى بكثرة الأحوال ، واتساع الأعمال فى المصر ، لم يظهر أثره إلا بعد حين . وقد تذهب الدولة المعتدية من أصلها قبل خراب المصر وتجىء الدولة الأخرى فترفعه بجدتها ، وتجبر النقص الذى كان خفياً فيه فلا يكاد يشعر به إلا أن ذلك فى الأقل النادر .

والمراد من هذا أن حصول النقص فى العمران من الظلم والعدوان أمر واقع لابد منه لما قدمناه ، ووباله عائد على الدولة .

ولا تحسبن الظلم إنما هو أخذ المال أوالملك من يد مالكه من غير عوض ولا سبب كما هو المشهور ، بل الظلم أعم من ذلك ، وكل من أخذ ملك أحد ، أو غصبه فى عمله ، أوطالبه بغير حق ، أوفرض عليه حقاً لم يفرضه الشرع فقد ظلمه .

فجباة الأموال بغير حقها ظلمة ، والمعتدون عليها ظلمة ، والمنتهبون لها ظلمة ، والمانعون لحقوق الناس ظلمة ، وغصاب الأملاك على العموم ظلمة ، ووبال ذلك كله على الدولة بخراب العمران الذى هو مادتها لإذهابه الآمال من أهله .

واعلم أن هذه هى الحكمة المقصودة للشارع فى تحريم الظلم ، وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه ، وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشرى ، وهى الحكمة العامة المرعية للشرع فى جميع مقاصده الضرورية الخمسة : من حفظ الدين ، والنفس ، والعقل ، والنسل ، والمال .

فلما كان الظلم كما رأيت مؤذناً بانقطاع النوع لما أدّى إليه من تخريب العمران ، كانت حكمة الخطر فيه موجودة فكان تحريمه مهمًّا ، وأدلته من القرآن والسنة كثيرة أكثر من أن يأخذها قانون الضبط والحصر[1] .

ولو كان كل واحد قادرًا عليه لوُضع بإزائه من العقوبات الزاجرة ما وضع بإزاء غيره من المفسدات للنوع التى يقدر كل واحد على اقترافه من الزنا والقتل والسكر .

(١) انظر الآيات القرآنية التى وردت فى الظلم وأسبابه وذمه وتحريمه وعقوبته فى الدنيا والآخرة .

ألا إن الظلم لا يُقدَم عليه إلا من يقدر عليه ، لأنه إنما يقع من أهل القدرة والسلطان فيبالغ فى ذمه ، وتكرير الوعيد فيه ، عسى أن يكون الوازع فيه للقادر عليه من نفسه ، (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) .

ومن أشد الظلامات وأعظمها فى إفساد العمران تكليف الأعمال ، وتسخير الرعايا بغير حق ؛ وذلك أن الأعمال من قبيل المتمولات ، لأن الرزق والكسب إنما هو رقيم أعمال أهل العمران ؛ فإذن مساعيهم وأعمالهم كلها متمولات ومكاسب لهم ، بل لامكاسب لهم سواها .

فإن الرعية المعتملين فى العمارة إنما معاشهم ومكاسبهم من اعتمالهم ذلك ، فإذا كلفوا العمل فى غير شأنهم ، واتخذوا سخريا (سخرة) فى معاشهم بكل كسبهم ، واغتصبوا قيمة عملهم ذلك ، وهو مُتمولهم ، دخل عليهم الضرر ، وذهب لهم حظ كبير من معاشهم ، بل هو معاشهم بالجملة .

و إن تكرر ذلك عليهم أفسد آمالهم فى العمارة ، وقعدوا عن السعى فيهم جملةً ، فأدى ذلك إلى انتقاض العمران وتخريبه ، والله سبحانه وتعالى أعلم ومنه التوفيق .

(معراج البيان ص ١٤٩ — ١٥٢)

٣ — إن الله يمهل الظالم و يمدد له

من حكم الله السامية ، التى تدق أحياناً حتى ليقف العقل البشرى منها موقف الحيرة والتشكك ، أنه سبحانه وتعالى لايأخذ المجرم أوالظالم بمجرد وقوعه فى الإثم ، بل يُمهله ويمدد له كى يتدبر عواقب إثمه وما يجره على المجتمع من ويلات ونكبات (قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمٰنُ مَدًّا) فإذا تاب وأناب ، وعاد إلى جادة الحق والصواب ، لطف الله به فى العقاب ؛ أما إذا استمرأ الجريمة ، ومضى فى طريقها قدماً لايلوى على شئ ، أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، فأصبح عبرة لمن يعتبر .

وإن كثيرين من الناس لتقسو قلوبهم ، فتصبح كالحجارة أو أشد قسوة ، وتتضاءل ضمائرهم حتى لتصبح إلى الموت أقرب منها إلى الحياة ، فلايحسبن هؤلاء أن الله غافل عما يعملون ، إنه لايترك صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها ، ولا ينزل العقوبة إلا بقدر ، وفى وقتها المناسب .

وفى كل يوم يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ، فهل من مدكر ؟ وهل من مزدجر ؟

إنه لمن اليسير جداً أن نصل بين اليوم والأمس، لنرى كيف ينحط الإنسان من عالِ إلى الدرك الأسفل إذا لم يتخذ له من غيره رادعاً ، ومن ضميره وازعاً .

الأساس فى ١٩٤٧/٩/١٩

---

٤ ــ خطبة فى النهى عن الظلم

فى دماء الناس ، وأموالهم ، وأعراضهم

الحمد لله الذى أعدَّ لمن أطاعه نعيماً مقيماً ، وأعدَّ لمن عصاه ناراً تلظى وعذاباً أليماً .

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) .

وأشهد أن لاإله إلا الله ، نهى عن الظلم ولعن الظالمين ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله جاءنا بالدين الحق المبين ؛ اللَّهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

أيها المسلم : إن خالقك العظيم ، القاهر فوق عباده ، حرَّم الظلم على نفسه ، وجعله محرماً على خلقه ، كما ورد فى الحديث القدسى الصحيح يقول الله تعالى :

« يَاعِبَادِى إِنِّى حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِى ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلاَ تَظَالَمُوا »

وقد لعن الله الظالمين فى كثير من كتابه الكريم ، وأوعدهم سوء المصير فى الدنيا والآخرة ، قال تعالى : (يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) وقال : (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا) .

والظلم : هوالاعتداء على دماء الناس، وأموالهم، وأعراضهم ، وحرمانُهم من حقوقهم . فلا يحل لمسلم أن يتعمد قتل أخيه ظلماً وعدواناً ، ومن فعل ذلك فجزاؤه جهنم خالداً فيها ، وغضب الله عليه ولعنه ، وأعدَّ له عذاباً عظيماً .

وياويل من غضب عليه الملك الجبار ولعنه ! فإنه لا ريب يكون من الخاسرين الهالكين . ولا يحل لمسلم أن يؤذى أخاه بالضرب والصفع وغير ذلك ، ومن فعل ذلك فإنه يجعل لغيره حقوقاً فى عنقه يتقاضاها من حسناته فى الآخرة إن لم يعف عنه فى الدنيا .

ولا يحل لمسلم أن يهتك عرض أخيه بأن يعتدى على عفاف أهله ، أو يرميه بفاحشة وهو برىء منها ، أو يشهد عليه زوراً ، ومن يفعل ذلك فإنه يجنى جنايةً عظمى ، ويقترف إثماً مبيناً ، وجزاؤه الخزى فى الدنيا ، والعذاب الشديد يوم يقوم الناس لرب العالمين .

ولا يحل لمسلم أن يعتدى على أموال الناس فيأكلها بالباطل ، ويستولى عليها بالحيلة والزور ، أو بالبطش والاقتدار ؛ ومن يفعل ذلك فإنه يصلى نارًا حاميةً فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، يوم ترد فيه المظالم ، فيقول الله الحكم العدل للظالم : أو ما عليك من حقوق سلبتها ، وأموال أكلتها ظلماً وعدواناً ، وزورًا وبهتاناً ؟ فلا يجد هناك مالا يسد به عن نفسه ، ولا يجد صاحباً ولا حميماً يسد عنه ، فيؤخذ من حسناته أو يضاعف له فى سيئاته ، ثم يكب على وجهه فى النار ، وذلك جزاء الظالمين .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ ، فَمَنْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ ، وَظَلَمَ النَّاسَ ، فَإِنَّ عَاقِبَةَ أَمْرِهِ الْهَلَاكُ وَالْخُسْرَانُ الْمُبِينُ » . (من حديث رواه مسلم)

أيها الظالم لا تغتر بقوتك وجاهك وسلطانك ، فتظلم الضعفاء ، فإن ربك لبالمرصاد ، وهو سبحانه يسمع دعاء المظلومين ، ويستجيب لهم ، ويغضب على الظالمين وينتقم منهم ، وإن بطشه لشديد ، وإن عذابه لواقع ، ماله من دافع ، فلا يغنى عنك يامسكين جاهك وسلطانك من الله شيئاً ، واعتبر بمن كان قبلك من الذين كانوا أكثر منك قوةً ، وأشد بطشاً ، فقد أهلكهم الله بظلمهم ، وما كان لهم من دون الله ولىّ ولا نصير .

أيها الظالم : انظر إلى آثار الظلم السيئة بين الأمم والأفراد ؛ فكم دمّر الظلم دورًا مشيدةً عامرةً ، وكم ذهب بأنعم عظيمة فاخرة ، وكم أضاع مجدًا كبيرًا ، وكم أهلك أمماً ذات بأس شديد وسلطان ، ولم يبق لهم إلا ذكرى مقرونة بالسخط واللعن من الله والملائكة والناس أجمعين .

فمالك لا تزجرك الزواجر ، ومالك لا تؤثر فى نفسك عظات الزمان ، ومالك لا تخاف سوء العاقبة والمصير؟.

فاتق الله فى نفسك ، وأد للناس ما عليك من الحقوق ، قبل أن تندم حين لاينفع الندم ، و إياك والظلم ، فإن الله ليس بغافل عما يعمل الظالمون .

الحديث — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ : الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللهُ فَوْقَ الْغَمَامِ ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ ، وَيَقُولُ الرَّبُّ : وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ » . (رواه أحمد والترمذى وغيرهما)

من مجموعة الخطب المنبرية لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الجزيرى

خطبة أخرى فى الظلم وسوء عاقبته

الحمد لله الذى بين لنا أن العدل خير ماتساس به البلاد ، وتصلح به أحوال العباد ، وأشهد أن لا إله إلا الله هو يجزى الظالمين بظلمهم ، ويكافئ المجدين على جدهم ، وينيلهم ثمرة جهادهم ، إن بذلوا أنفسهم وأموالهم فى خدمة الحق ، والدفاع عن حقوق الناس .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، حكم بالعدل والحق ، والأناة والرفق ؛ فما أجمل حكمه وما أعدله ، وما أبعده عن الجور والجبروت !.

وما أفضل أصحابه الذين ساروا فى طريقه ، وسلكوا بسلوكه ، حتى دانت لهم الأمم فى مشارق الأرض ومغاربها بفضل العدل واتباع الحق .

فصلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد — فإن للحق هيمنة على النفوس ، وللين سلطاناً على القلوب ، و إن من أحسنت إليه أطاعك وأحبك ، ومن أسأت إليه مقتك وكرهك ، ولو كان أقرب الناس إليك ، وأعظمهم منزلة لديك ؛ فكيف إذا لم يكن من بنى جنسك ، أو كان من وطن غير وطنك ، أو كان دونك فى المعرفة والعلم ، أو الخلق والفهم ، لاشك أن المقت يكون له شديداً والسخط عليه يكون عظيماً .

يرحمك الله ياعمر ! أيقظت العدل ليحكم بين الناس ، فنمت آمنا مطمئنًّا ، غير محتاج

إلى مرهفات السيوف ، ولا إلى كثرة الجنود ؛ فوفّرت على المسلمين النفوس العديدة ، وعلى خزينتهم الأموال الكثيرة .

أما أنت ياحجاج فآثرت الظلم على العدل ، والباطل على الحق ، واغتصبت حقوق الضعفاء ، وأرقت دماء الأبرياء ، وملأت السجون بالمظلومين ، والكثير من البررة المتقين ، وفجعت الناس فى شبابهم ؛ كما أخذت كثيراً من أموالهم ، وسلبتهم أعزَّ الأشياء عليهم : حريتهم فيما يقولون أو يكتبون ، ويخطبون أو يؤلفون .

فرّقت أموال المسلمين فى قبيلتك وأعوانك ، وأبعدت عن الوظائف من لم يكن من أقربائك وأصحابك ، ولم يسلم من شرِّك إلا القليل ، فأصبحت كل نفس تضمر لك بين جنبيها عداوةً ، وتتمنى لك أعظم مصيبة ونكاية ، فأكثرت من الحرس والأجناد ، وأرسلت الجواسيس فى كل مجتمع وناد ، وبذلت كثيراً من الأموال للخونة اللئام ، ليبحثوا عن الأشراف الأطهار ، الذين لايرضون إلا الحق ، ويأبون إلا الإنصاف والعدل ، حتى إذا تمكنت منهم طوحت رءوسهم ، وأزهقت أرواحهم ، أوزججت بهم فى سجن مظلم (زنزانة ضيقة) ، لايبصرون فيها شعاع الشمس ، ولا يتنسمون فيها رائحة الحرية .

كل ذلك كان منك ياحجاجنا ، ياأعتى العُتاة ، وأطغى الطغاة ، فهل أغنت عنك سيوفك وجيوشك وأعوانك وجواسيسك ، ومكرك وحيَلك ؟ هل أغنت عنك تلك الدماء البريئة ، والأرواح الشهيدة .

كلاَّ لم يغن عنك من الله شيئاً ، بل أخذك الله أخذ عزيز مقتدر ، وسلب عنك ذلك الملك ، وحرمك من ذلك العرش ، وانتقم للمظلومين المستضعفين .

فياظالماً أقلع عن ظلمك ، واعلم أن الله لك بالمرصاد (وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ) .

روى مسلم وغيره عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ » .

(من كتاب إصلاح الوعظ الدينى ص ١٥٥ باختصار)

خطبة أخرى فى الظلم

الحمد لله الذى حرّم الظلم على نفسه حتى لايظلم إنساناً إنسان ، وأشهد أن لاإله إلا الله الذى لم يبح بلا حق دماً ولا عرضاً ولا مالاً لكائن من كان ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله ، الذى علمنا الإنصاف فى كل شان ، اللّهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن كعدلهم يعدلون .

أما بعد — فياعبد الله ، لقد وصل الناس اليوم فى ظلم بعضهم إلى حد تقصر عن شرح بعضه العبارات ، حتى لو حكى لمن لم يره بادر إلى الجزم بأنه من المفتريات ، حتى يجمع إلى غضب الخلق ، غضب مولانا فاطر السموات ، ذلك أنهم لايتهيبون ظلماً إلا إذا رأوا بجانبه عصا القانون ، فإذا أمن أحدهم بطْش ذلك القانون بَطش هو بطشة الجبارين ؛ فإذا اشتهت نفسه شتم امرئ شتمه مهما كان نقيّ العرض والدين ، و إذا اشتهت ضربه مال عليه ميلةً لارحمة معها بالشمال و باليمين ، و إذا همّت بأكل ماله نفذ ذلك بغاية الجراءة و بطرق شتى مسلكها يهون ، و إن سوّلت له أن يطعن فى حسب امرئ أونسبه طعن طعناً تقشعر منه الأبدان ، و إذا زيّنت له أن يقتله متعمداً أراق دمه فى الحال غير ندمان .

وهكذا لايقوم بنفسه لون من الظلم إلا سارع إلى فعله مسارعة الشجعان ، كأنه لايؤمن بالموت ولا بالبعث ، ولا بأن الجزاء على الأعمال سيكون .

كل الناس اليوم هكذا ، إلا من عصمه الله من العباد الصادقين ، ولذلك ترى نيران الظلم تشتعل فى أنحاء الدنيا بحالة تزعج الناظرين .

لتعلمْ أيها المؤمن أن حياتك هذه لابد أن تنتهى ولو عشت آلاف السنين ، ولا بد أن تحيا حياة أخرى فيها يخذل الظالمون ، و ينتصر عليهم المظلومون ، حياة يجاء فيها بالظالم فتؤخذ حقوق المظلومين مما له من حسنات ، فإن لم تف حسناته أخذ من سيئات المظلومين بقدر حقوقهم ، وطرحت عليه تلك السيئات ، وليس بعد ذلك إلا النار التى لايتحملها هو بل ولا الأرض والسموات ، يرى فيها من ضروب الآلام ، وصنوف العذاب ما لايتصوره المتصورون ، فليتماد على ظلمه من رضى لنفسه أن يكون فى ظلمات يوم القيامة أينما سار

ومن سرَّه أن تفرق حسناته ، وتضاف إليه أوزار فوق ماله من أوزار ، فليتمادَ وهو يعلم أن النار مأواه وفوق النار غضب الجبار ؛ ومن أشفق على نفسه من ذلك فليحذر ظلم العباد كما يحذره الفضلاء المنصفون .

(حديث) : « الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . (رواه البخارى ومسلم)

(حديث آخر)

« أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا : الْمُفْلِسُ مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ فِينَا وَلا مَتَاعَ ، فَقَالَ : إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هٰذَا ، وَقَذَفَ هٰذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هٰذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هٰذَا ، وَضَرَبَ هٰذَا ، فَيُعْطَى هٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ » . (رواه مسلم والترمذى)

(من ديوان منتهى آمال الخطباء)

٥ — إخفاء الجريمة والتستر على المجرم ظلم

إن إخفاء الجريمة والتستر على المجرمين من أكبر أنواع الإجرام ، وأشنع ضروب الآثام ، لما يترتب عليها من إفلات المجرمين من القصاص والتشجيع على انتشار الفساد فى البلاد ، وإخلال الأمن العام ، وفقد الطمأنينة على الأنفس والأموال ؛ وبذلك تعم الفوضى ، ويضطرب حبل العمل ، ويتسرب إلى النفوس اليأس ، ولا يبقى لأحد أمل فى نتائج مجهوداته ، ومقترف هذه الجريمة يعاون المجرم على ارتكاب الآثام ، وكان الأجدر به أن يحول بينه وبين اقتراف جريمته عملاً بقوله تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) .

كذلك مقترف هذه الجريمة غاشّ لأولى الأمر الذين يجب الإخلاص لهم ، ومعاونتهم على أداء واجبهم على أكمل وجه بالضرب على أيدى المفسدين ، كما أنه غاش للأمة بإخفاء الجرائم والتستر على من يعبثون فى حقوقها فساداً ؛ ولما كان الإخلاص لأولى الأمر ، ولسائر المسلمين عظيم الأثر فى حياة الأمة جعله الله الدين كله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ . قُلنَا لِمَنْ ؟ قال: لِلهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» .

والنصيحة : الإخلاص والصدق والعمل والمشورة . والتستر على المجرمين يقيم البرهان على أنه خلوٌ من هذه الصفات الجميلة التى يجب أن يتحلى بها المرء ليقوم بنصيبه فى هذه الحياة خير قيام ؛ وجاء فى الأمثال : المتستر على اللص لص مثله ؛ ومن يخفى الجرائم ويعاون مرتكبيها بسترهم ، يفكك وحدة الأمة ، ويعمل على فصم عرا اتحادها .

وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثًا ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاَثًا : يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا ، وَأَنْ تَنَاصَحُوا يَزْدَادُ اللهُ عَلَيْكُمْ ، وَيَكْرَهُ : قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةَ المَالِ » .

وقال تعالى : (قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ) .

وذلك الذى يخفى الجرائم ويستر المجرمين يخالف قول الرسول العظيم : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ » .

فكان واجباً عليه أن يمنع المجرم باليد أواللسان ، ولكنه لم يعمل ذلك ، وتستُّره عليه دلَّ على أنه لم يغير بقلبه ، بل هو راض عن الجريمة ، معاون للمجرم ، ولم يبذل له النصيحة الواجبة ، ولم ينهه عن المنكر ، وعدم التناهى عن المنكر ومصادقة المجرمين سبب فى غضب الله تعالى ولعنته .

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَوَّلَ مَادَخَلَ النَّقْصَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ : يَا هَذَا اتَّقِ اللهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ لَكَ ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ ، فَلاَ يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ » ثم قال :

(لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)

ثم قال : « كَلَّا وَاللهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ ، وَلَتَطْرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا ، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا ، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، ثُمَّ لَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَامِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي ، ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا فَلَمْ يُغَيِّرُوا ، إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ » .

و إخفاء الجريمة والتستُّر على المجرم يكون ممنوعاً إذا كانت الجريمة اجتماعية يقع ضررها على الأمة كالقتل والسرقة ، أوالائتمار بما يضر الأمة فى أخلاقها أونظمها أوغيرها .

أما إذا كانت الجريمة فردية كشرب الخمر خفيةً ، فالمطلوب حينئذ الستر على المجرم والنصح له بالابتعاد عن معاودة الجريمة .

كان لعقبة بن عامر الصحابى الجليل رضى الله عنه جيران يشربون الخمر ، فنهاهم كاتبه عن ذلك فلم ينتهوا ، فأخبر عقبة بذلك وقال : سأدعو لهم الشرط . فقال عقبة له : دعهم ، ثم كلمه مرة أخرى فقال : ويحك دعهم فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ رَأَى عَوْرَةً فَسَتَرَهَا كَانَ كَمَنْ أَحْيَا مَوْءُودَةً » .

٦ ـ المحاباة ظلم عظيم

لتجدن أشد الناس ضرراً بأنفسهم وبالمجتمع الإنسانى ، أولئك الذين عرفوا بالمحاباة والمحسوبية ، وطبعت نفوسهم على حبها فكانت لهم خلقاً ذميماً ، ووصفاً معروفاً لئيماً ، أولئك هم الضارون بأمتهم ، الخائنون الغاشون .

فأى ضرر أوخيانة أوغش أبلغ من تقديم غير المستحق على المستحق ؟ أو أخذ درجة المستحق و إعطائها لغير المستحق ؟ أى ضرر أو خيانة أو غش أبلغ من ترجيح الجهلاء على الأكفاء ، و إعانة الأقوياء على الضعفاء ، والأعداء على الأصدقاء ، إلى غير ذلك من مجلبات الشر والبلاء ؟.

هذا الخلق الذميم ، إذا وجد فى شخص مهما كانت رتبته ودرجته ألجأه إلى الظلم ، والظالم غير محبوب ، و إلى خلف الوعد ، والمخلف فى وعده غير محمود ، و إن شئت فقل : المحاباة هى عين الظلم والظلم المجسم .

والمحابى و إن كان يجد له ناصراً ومعيناً ، فيكون ذلك من طريق الخوف منه والنفاق والملق والرياء له .

و إن أسباب المحاباة كثيرة : كالقرابة أوالصحبة أوالدِّين أوالمحبة القلبية ، أو الاتحاد فى الحزبية أوالرشوة ، وهى بئست العطية؛ لأنها الملجأ القوى إلى المحاباة ، خصوصاً إذا كان المحابى لايخاف رقيباً ، ولايخشى عقاباً ، فإنه يحابى ويكثر من ذلك طمعاً فى المال ، وحبًّا فى الذهب والفضة ، ولو ضاعت بلاده ، أومحقت دولته ، نعوذ بالله من شر ذلك .

يحابى الرجل واحداً من أسرته ، ويساعده على ارتكاب المحرمات ، ويعينه على أكل أموال اليتامى ظلماً ، فيختل لذلك نظام الأسرة ، ويوجد بين أفرادها الشقاق والخصام ، والبغض والعداء ، فتنصرف الأعضاء ، ويشتد البلاء ، ولو أحسن صنعاً لعدل بينهم ، حتى يعيشوا إخواناً ، ويموتوا أحباباً .

أعرف رجلاً قسم أمواله بين أولاده ، وميز واحدًا منهم بشئ قليل لأنه يحبه ، فغضب الباقون ، واشتعلت فى صدورهم نيران الحسد ، فأهانوا أباهم بالضرب المؤلم، وأذاقوا أخاهم مرارة الموت ، فزجوا فى السجن ، وذاقوا سوء العذاب ، وكادت الأسرة أن تمحى ، ولولا المحاباة لما كان شئ من ذلك .

وأعرف شخصاً آخر تعين وصيًّا على أولاد أخيه ، فنهبهم وأكل أموالهم ، وضيع حقوقهم ، وكان أحد أسرته مساعداً ومعيناً له على ظلمه ، فتسبب فى تفريق الأسرة إلى

قسمين : قسم يحابى المجرم الظالم ، وقسم يناهضه للحصول على حقوق اليتامى المساكين حتى أثبت لهم حقوقهم ، ورجع الفريق الأول خائبًا مخذولاً .

ومثَل الرجل فى أسرته ، مثل الرئيس مع مرءوسيه ، والحاكم مع رعيته ، والقاضى مع المتحاكمين إليه .

فالحاكم يجب عليه أن يعدل فى أحكامه ، ويسوى بين الناس فى مناصبهم ودرجاتهم وما يستحقونه بحسب القانون ، وما تؤهلهم له كفاياتهم واستعدادهم ، دون محاباة ولا تحيز لفريق دون آخر ، ولا مراعاة لوساطة أوقرابة أوماشابه ذلك ، مما هو ظلم وعسف يؤدى إلى فساد الأخلاق ، وتفشى داء الكسل والاتكال على الجاه والسلطان والنفوذ ؛ فتنصرف النفوس من أجل ذلك عن العمل المجدى المثمر ، وتصد عن سبيل الجد والسعى والاجتهاد .

وبذلك تفسد أداة الحكومة وتتعطل الأعمال ، لأن من يتكلون على جاه أو وساطة يشعرون بأنهم مفضلون فى أخذ المناصب على غيرهم ، فيكسلون ولا يقومون بعملهم خير قيام

والمثل الأعلى للحاكم يكون فى المحافظة على مال الدولة ، ومنع أقاربه من الانتفاع بجاهه إحقاقاً للحق ، وإزهاقاً للباطل ، ويجب عليه أن يختار للوظائف العامة أكفاء أبناء الشعب ، وأكملهم أخلاقًا ، دون التفات إلى الوساطة والزلفى ؛ ويتسنى له ذلك بوضع قواعد عادلة للتوظيف والترقية ، وتقرير المكافآت لمن يمتاز منهم بإخلاصه ونشاطه وتفانيه فى العمل ؛ فإذا لم توضع هذه القواعد العادلة ، ولم تراع الأمة فى اختيار رجالها الكفاية والاستعداد والنبوغ ، أونشأ فيها داء الوساطة والمحسوبية ، تغلب ذوو الشفاعة على ذوى الكفاية ، واختل ميزان العدالة ، وعمَّ الظلم ، وانتشر فى جميع مرافئ الحياة ، وأخذ مقاليد الأمور من لايحسنون القيام بها ، ولا يستطيعون الاضطلاع بأعبائها ، وحيل بين ذوى العبقريات ، ومامم جديرون به من تولّى المناصب ، وتدبير شئون الحكم ، فتختل أمور الدولة .

أما القاضى المؤتمن على العدل ، وعلى حقوق الناس ، فمن الواجب أن يكون أنبل الناس خلقاً ، وأطهرهم نفساً ، وأعفهم يداً ، وأذكاهم عقلاً ، ضماناً للعدل ، وإصلاحاً لنظام المجتمع .

وإذا نظر الإنسان إلى الأمم الراقية السعيدة وجدها بعيدةً عن التحابى ، طاهرة من

هذا الخلق السيئ ؛ لاتسند الوظائف ولا المناصب لغير أهلها ، ولا تعطى القوس غير باريها.

فما للناس لايتركون هذا الخلق السيئ القبيح ؟ خلق المحاباة والمحسوبية ، ويقدمون العارف على الجاهل ، والذكى على الغبى ، والمحق على المبطل ، حتى تسير الأعمال فى طريق التقدم والارتقاء ؛ وبذلك يسعدون وتسعد أمتهم ، ويرتقون وترتقى بلادهم .

ومَن أحسن حياة ، وأطيب عيشًا ، وأخلد ذكرى ، ممن استمسك بالعدل ، واعتصم بالعفة والنزاهة ، وكان من الذين لايعرفون المحاباة ولا المحسوبية ، ولا يحبون من وصفوا بها ؟

عصمنا الله من المحاباة وضررها حتى تسعد أمتنا ، وترقى بلادنا ، ونكون من المفلحين الفائزين ، ومن عباد الله المخلصين .

٧ — المحسوبية خطر اجتماعى عظيم

المحسوبية داء وبيل انتشر فى هذا الزمن ، وفى هذا البلد ، ويستحيل استئصاله تمامًا لامن هذا البلد ، ولا من أى بلد فى العالم ، وإن كان انتشاره بالطبع يقل كلما تقدمت البلاد ، وارتقت ارتقاء صحيحًا يجعل الأسبقية فى الوظائف ، والتقدم فيها للمواهب والهمم والكفايات (المؤهلات) والأخلاق ، لالتملق والرياء والنفاق .

غير أن القدَر نفسه قلما يترك المحسوب الحبل على الغارب ، وهو عدل إلهى لا تقل الشواهد عليه ؛ فكثيراً مانرى الكبير والوزير يتنكر لمحسوبه ، ويغضب عليه أحيانًا ، بل وتجده ينتقل من وظيفته الكبيرة ، أو يحال إلى المعاش ، أو يمرض أو يموت ، فيقع المحسوب (الذى تعين أو ارتقى بدون وجه حق) يقع فى حيص بيص ، ويرى ألواناً من الذل والعذاب والبهدلة والاضطهاد ، ما كان أغناه عنها لو تحصن بالعمل والجد والعفة والنزاهة ، بدل المحسوبية والتزلف ، وبذل ماء الحياء .

وإليكم أسوق مثلاً وقع بالفعل لأحد صغار الموظفين وهو : أنه قضى فى الخدمة ١٦ سنة فى الدرجة الثامنة ، إلى أن وصل إلى نهايتها وهى عشرة جنيهات ، وجميع التقارير المقدمة من حضرات رؤسائه تشهد له بالكفاءة والاستقامة والإخلاص فى عمله ، ولذلك طلبت الإدارات المتعاقبة التابع لها هذا الموظف إنشاء درجة سابعة فى الميزانيات المتوالية

منذ سبع سنوات لترقيته إليها ، وقد صدق على الميزانية الأخيرة فى السنة الماضية معتمداً فيها الدرجة السابقة لوظيفته ، وترقيته إليها شخصيًا ، فحمد الله على ذلك ، ولبث منتظرًا منحه إياها .

و بينما هو فى الانتظار إذ فوجئ بخبر أدهشه وأضاع صوابه وهو : أن الوزارة التابع لها هذا الموظف المسكين أخذت الدرجة السابعة المسجلة فى الميزانية باسمه وأعطتها لشخص آخر من المحاسيب ، وحرمت صاحبها منها ، ولهذا ضاع حق هذا الموظف المسكين ، الذى قضى ست عشرة سنة فى الخدمة بكل إخلاص وأمانة ، وقضى فيها حياته وشبابه وصحته ، وكان ينتظر بفارغ الصبر أن يصل هذا المظلوم ، إلى حقه المهضوم ؛ ولما كاد أن يصل إليه خانه سوء الحظ والبخت المشئوم ، فاغتصب منه ، وأعطى إلى غيره ، مع أنه ذو عائلة كبيرة: (زوجة وسبعة أولاد وأختين عانستين) .

فماذا يقول الإنسان فى هذا الحادث الغريب ؟ يقول : ما أظلم الإنسان للإنسان ، ولعن الله المحسو بية ؛ وهل يجوز شرعاً وقانونًا أن يكون الظلم وهضم الحقوق مكافأةً لمن يبذل جهوده ووقته فى سبيل الخدمة العامة ؟ وهل يجوز شرعاً وقانوناً أن يؤخذ حق الشخص المستحق ، و يعطى لغيره نظير المحسو بية ؟

ولما رفع هذا الموظف المسكين شكواه إلى أولى الأمر قيل : إنه حقيقةً مظلوم ، ووُعد بإعطائه الدرجة عند وجودها . وهيهات هيهات لما يوعدون . وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون .

وهذه الحادثة ذكرتنى بحادثة مثلها وقعت لى منذ كنت كاتبا بوزارة المعارف العمومية وهى : أنى لبثت فى الخدمة بدون ترقية مدة عشر سنوات ، ولما أراد الله وتأشر أمام اسمى فى جدول الترقيات من الوزير نفسه بمنحى الدرجة المطلوبة ، وهنئت بها فعلاً أخذها سعادة السكرتير العام وأعطاها لأحد الكتبة محاسيبه وحرمنى منها ، فقلت فى نفسى : حقيقةً (إنها للمحسو بين لا للموعودين) وكل شئ بإرادة الله وقدره مؤمناً بأن كل شىء بقضاء وقدر

فيظهر أن الظلم كان منتشراً من عهد بعيد ، ولا يزال منتشراً فى كثير من الجهات ، ولكنه لا يظهر إلا على أيدى أناس خصهم الله بهذه الرذيلة ، كما خص بعض الحيوانات

الكاسرة بأساحة للإيذاء والضرر ، ولله فى خلقه شئون ؛ وجاء فى الأثر : « طُوبَى لِمَنْ أَجْرَيْتُ الْخَيْرَ عَلَى يَدَيْهِ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ أَجْرَيْتُ الشَّرَّ عَلَى يَدَيْهِ » .

وثيقة تاريخيـــة

(عقوبة النفى المؤبد للمحسوبية)

تلقينا من الأستاذ السعيد حبيب الكلمة الآتية :

استرعى التفات المصريين والأجانب قول جلالة الملك فى خطاب إسناد الوزارة لدولة أحمد ماهر باشا : (رحمه الله) إنه يحرص على أن تقوم فى مصر وزارة تسوى بين المصريين فى الحقوق والواجبات .

ومن قبل استرعت نظرى وثيقة تاريخية من عهد المغفور له محمد على باشا منشئ مصر الحديثة ، تتضمن نفس المعنى ، وتزيد عليه تقرير عقوبة النفى المؤبد حتى الموت ، للوساطة والمحسوبية ، وإنى أبادر بنشر هذه الوثيقة من غير تعليق تحيةً منى لمولاى الملك ، وإذاعةً لتقاليد العرش الموروثة فى حكم البلاد :

دفتر رقم ٥٤ معية تركى .
نص الوثيقة التركية رقم ٥٢٨ .
بتاريخ ٣ محرم سنة ١٢٥١ .

أمر من الجناب العالى :

إلى مختار بك .

لقد سمعت أن بعض المشايخ القاطنين بقسمى الجيزة والقليوبية قد حدث بينهم وبين أكابر الموظفين بالبلاد المحروسة تعارف ومودة ، فيأخذون من أولئك الأكابر كتب توصية كلما مستهم الحاجة لينالوا مساعدة من نظار الأقسام فيرسلونها إليهم ، وإن هذه العادة قد بدأت تسرى بين العلماء وغيرهم على هذه الوتيرة ، فبما أن هذه الحوادث قد جرت فى تلك المديرية ، وقد لاحظت أنها ستسرى بطبيعة الحال إلى المديريات الأخرى ، بل إلى سائر الدواوين المصرية ، فأصدروا قرارات من الآن وأذيعوها ، ليعلم كل أحد أن من أتاه كتاب كهذا أيا كان شخصه ، ولم يرسله إلينا مباشرةً ، فإنى مرسله إلى (أبى قير) ، وتاركه

يضيع فيه حتى يموت ، وذلك ليكون عبرة لغيره ، ولا يعودوا لمثل هذا العمل ، ليعلموا ذلك وليأخذوا حذرهم .

حاشية : أعلنوا أيضاً أن الذى يعطى مثل هذه التوصيات سينفى إلى (أبى قير) مؤبداً إن كان من الموظفين ، وأما إن كان من العلماء ، فسينفى إلى المحلة مؤبداً أيضا .

الأهرام فى ١٩٤٤/١٠/٢٥

٨ — الإسلام رحمة للانسانية وحفظ لها

والشعوب الظالمة شقاء ومعول الخراب والفناء

دين الإسلام ، هو الدين الذى جاء رحمةً للعالمين ، فحفظ الدماء ، وصان الحقوق والأعراض والأموال ، وراعى حرمة الجوار ، واحترام كل عهد وذمة ، ورفع راية الأمن والسلام ، ليعيش الناس فى اطمئنان وسلام ، غرس فى الناس أصول الفضائل ، وعلمهم الحرية والإخاء ، والمساواة والعزة والإباء ، وطبعهم على غرار من الخُلق الكامل ، ورسم لهم نهجاً قويماً من السير الحميد ، والاستقامة العادلة .

و بين لهم أن الناس جميعاً خلقوا أحراراً لأب واحد (آدم) وأم واحدة (حواء) ، والكل من تراب ، ولا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى ، فقال لهم : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ) .

وأوصاهم بأنه ليس لأحد أن يحتكم فى دماء الناس وأعراضهم إلا بحق الله وفى حدود شريعته ، وليس لملك أن يذل شعباً ضعيفاً مستكيناً ، فيفتك بالنفوس الحرة البريئة ، لاشئ سوى أنها عزلاء ، عاجزة عن رد عدوان الطاغية الغشوم .

فنبتت فيهم نابتة الديمقراطية الحقة التى طبعت لهم الملوك والأقيال بطابع من التسامح والخضوع والطاعة ، والتخلى عن جبروت الملك وغل السلطان إلى رحاب العدالة والرحمة ، والنظر فى مصالح الشعوب ورعاية الأمم ، والسهر على جلب الخير والطمأنينة فى جميع الربوع .

هذا هو الدين الإسلامى الذى جاء به سيد البشر كافةً للناس ، رحمةً بالإنسانية ، وخيراً للشعوب ؛ والذى تطالعنا به الحوادث فى كل يوم من أعمال الدول المتحضرة ، التى تزعم

أنها ملكت ناصية المدنية ، وتربعت على عروش الرحمة والإنسانية ، وهى من كل ذلك براء .

هذا الذى تعرضه علينا الحوادث من قتل ونهب وسلب وتدمير وتخريب يقوم دليلاً لايحتمل النقض على وحشية هذه الدول الظالمة التى لايلذ لها إلا سفك الدماء ، وهتك الأعراض ، وإماتة النفوس ، وشنّ الغارات فى كل مكان تشمله السكينة ، ويحوطه الأمان

فأين آثار هذه المدنية التى يتشدقون بها ، والرحمة التى يكذبون على الناس من ورائها وتحت شعارها ؟ وأين الديمقراطية التى يخدعون بها العالم الإسلامى ، ويدّعون بأنهم اتخذوها مبدأ تسير عليه فى سياسة الشعوب ، ورعاية الأمم الضعيفة ، وحفظ الحرية ، والمساواة بين الأفراد والجماعات ؟

هذا وأيم الله ادعاء باطل، وكذب وبهتان ، ومصير هذه الدول إلى الزوال والانقراض والفناء تصديقاً لقوله تعالى: (وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا).

٩ — مثال الاضطهاد فى نظارة المعارف

من أغرب ماجرى اليوم فى نظارة المعارف أن المستر « دانلوب » نيرون العصر فى مصر دخل على حضرة الشاب المهذب الفاضل على أفندى فكرى كاتب حكيمباشى المعارف ، فبعد أن سأله أسئلةً تافهةً لاتختص بوظيفته قال له : لماذا هذه الشبابيك مقفلة ؟

فأجابه : لأن الهواء شديد !

فقال له بعظمته المعتادة ، وفخفخته المشهورة : « افتحها فى الحال » .

وكانت الشبابيك عالية لايبلغها الإنسان إلا بسُلم ، فرد عليه هذا المصرى الذى أوقعه سوء حظه تحت رياسة هذا المستبد : « إن هذا ليس من عملى بل من عمل الفراش» .

فرأى المستر أن هذا الجواب يشفّ عن شمم ورفعة نفس ، وأنه لايليق بالاحتلال أن يستخدم فى وظائف الحكومة المصرية رجلاً ذا شمم ورفعة ، فأمر برفته فى الحال .

فاقرأوا أيها المصريون وتبصروا .

اللواء العدد ٤٦٤ الصادر فى ٢٣ أبريل سنة ١٩٠١

ملحوظة : هذه الحادثة وقعت لى فعلاً حينما كنت موظفاً بوزارة المعارف ، ولكن لم أرفت فيها ، لأن الله المنتقم الجبار أظهر الحق على يدوزير المعارف المرحوم (فخرى باشا) .

وانتقلت بعدها بأمره إلى دارالكتب الخديوية بوظيفة كاتب ثان ،وكان ذلك باب فتوح وارتقاء لى فى هذه الدار حتى وصلت إلى وظيفة الأمين الأول ، ورئيس المفيرين فى الدرجة الرابعة بها ، و بلغت ماهيتى ٥١ جنيهاً ، والحمد لله على ما أعطى ومنح ، ثم أحلت بعد ذلك إلى المعاش فى سبتمبر سنة ١٩٣٤ . وخرجت منها مرفوع الرأس محبوبًا من رؤسائى والمرؤسين ولله الحمد

وقد ذكرت هذه الحادثة للعظة والاعتبار وللتاريخ أيضاً لا للشهرة والافتخا .

١٠ — الاضطهاد والحرية

اللواء العدد ٤٦٥ فى ٢٤ ابريل سنة ١٩٠١

يقول الفلاسفة : « الحرية بنت الاضطهاد » يعنى أن أنوارها لاتشرق على الأمم إلا إذا لاقت من الاضطهاد مايدفعها إلى التمسك بها ، والمطالبة بثمارها اليانعة .

وقد أثبتت حوادث التاريخ أن الأمم التى نالت الحرية والاستقلال بعد الاضطهاد والظلم والاستعباد كانت أشد محافظة على الأوطان من الأمم التى نشأت فى مهد الحرية ، ودرجت فى ربوعها .

وهذا أمر طبيعى محقق فى الأفراد كما هو واقع فى الشعوب ، فترى الفرد المجتهد الذى يجمع ماله بكده وجده يحافظ عليه ويعرف مقدار نعمة الله عليه ، أكثر ممن يرث المال عن أبيه وأهله .

وقد أراد الله لمصر أن تتمتع بالحرية الصحيحة ، والاستقلال المنشود ، بعد أن جهلت مقام الوطن وحرمة البلاد ، فسلط عليها من المضطهدين لبنيها من يبثون فيها بالرغم عنها روح الجد والاجتهاد والنشاط ، ويدفعون بها فى سبيل المجد الباذخ ، والشرف الأثيل .

أصيب رجال المعارف بمضطهد دونه كل المضطهدين ، ورئيس على مثله تعلم « نيرون » فنون الجور والاعتساف ، ولعل هذا لأنهم رجال العلم والعرفان ، وأساتذة أبناء الزمان ،

يجب أن يكون نصيبهم من مدرسى الحرية ومعلميها بطرق الاضطهاد والاستبداد أكثر من سواهم .

من كان يظن من المصريين أن فتى تعلم العلم ليعلم ، وينفع نفسه ووطنه ودينه ، وقضى زهرة الحياة ، وأعوام القوة والشباب فى التحصيل ، مؤملاً بلوغ مكانة فى بلاده يسعد بها ويشرف ، يعامل يوماً ما معاملة السيد للعبد ، والمخدوم للخادم ؟ بل من كان يخطر على باله أن الذى يذكر رئيسه بأنه لم يعين فى وظيفته ليغلق باباً ، أو يقفل شباكاً ، يعاقب بالرفت والحرمان ! لم يكن فى الحسبان ما كان ، ولكن هل هذا الاضطهاد الممقوت آفة كبرى على البلاد ؟

إنه إذا كان آفة على الأفراد فليس بآفة على أمة تريد الحياة العالية ، وتطلب النعيم الخالد ، وتعرف أن الأمم الناهضة الحية تنتفع بكل شئ ومن كل حادث حتى من المصائب

نعم لو عرفت الأمة المصرية لانتفعت من اضطهاد الانكليز أىّ انتفاع .

فهذه مدارسها الأهلية فى أشد الحاجات للمدرسين الأكفاء ، وهذه الأقاليم والجهات لاتزال فى عوز المدارس والمكاتب ، فلِمَ لا يكون المضطهدون من رجال المعارف أساتذة فى مدارس الأهالى ، ومرشدين إلى الهدى فى الحركة العلمية الحديثة ؟

اضطهد أيها السكرتير الإنكليزى رجال المعارف ما استطعت ، فإنك باضطهادك تظهر للأمة ذوى الشمم منهم ، وتربى مبادئ الاستقلال الذاتى عندهم جميعا .

اضطهدهم وبالغ فى الاضطهاد ، فإنما أنت تعرفهم باضطهادك أن الأجنبى مهما كانت جنسيته لا يكون شفوقاً على أبناء البلاد ، ولا يسعى لخيرهم أبداً .

اضطهدهم وتفنن فى اضطهادك لهم ، فإنما أنت الممثل للاحتلال فى قوته وطغيانه .

اضطهدهم ليعلم العالَمون أنك ماوليتَ عليهم إلا لتحكم فيهم بسيف الجور والعدوان ، وتقتل فى نفوس الناشئين حب الوطن ومبادئ الشرف والشمم ورفعة النفس .

اضطهدهم فإنك من حيث لاتدرى تخدم مبدأ الوطنية المقدس الذى نحن خدمته الصادقون ، وتساعدنا من حيث لاتريد على نوال الحرية المبتغاة ، والاستقلال المحبوب .

١١ — أمثلة فى الظلم

١ — حكاية عن عواقب الظلم الوخيمة

فيما نقل من الآثار الإسرائيلية فى زمن موسى عليه السلام : أن رجلاً من ضعفاء بنى إسرائيل كانت له عائلة ، وكان صياداً يصطاد السمك ، و تعبت منه أطفاله وزوجته .

فخرج يوماً للصيد ، فوقع فى شبكته سمكة كبيرة ، ففرح بها وأخذها ومضى إلى السوق ليبيعها و يصرف ثمنها فى مصالح عياله ، فلقيه بعض العوانية فرأى السمكة معه فأخذها منه ، فمنعه الصياد ، فرفع خشبة كانت فى يده فضرب بها على رأس الصياد ضربةً موجعةً ، وأخذ السمكة منه غصباً بلا ثمن . فدعا الصياد عليه فقال : إلهى خلقتنى ضعيفاً ، وخلقته قوياً عنيفاً ، فخذ لى حقى منه عاجلاً فقد ظلمنى ، ولا صبر لى إلى الآخرة .

ثم انطلق الغاصب بالسمكة إلى زوجته وأمرها أن تشويها ، فلما شوتها ووضعتها بين يديه على المائدة ليأكل منها فتحت السمكة فاها ، ونكزت أصبعه نكزةً أطارت بها قراره ، فقام وشكا إلى الطبيب ألمَ يده وماحلّ به ، فرآها فقال :

دواؤها أن تقطع الأصبع لئلا يسرى إلى بقية الكف فقطع أصبعه ، فانتقل الوجع الشديد إلى اليد وزاد الألم ، وارتعدت من خوفه فرائصه ، فقال له الطبيب ينبغى أن تقطع اليد من المعصم لئلا يسرى إلى الساعد فقطعها ، فانتقل الألم إلى الساعد ، فما زال هكذا كلما قطع عضواً انتقل الألم إلى الذى يليه .

فخرج هائماً على وجهه مستغيثاً إلى ربه ليكشف عنه مانزل به ، فرأى شجرةً فقصدها فأخذه النوم فنام تحتها ، فرأى فى منامه قائلاً يقول له :

يامسكين إلى كم تقطع أعضاءك ؟ امض إلى خصمك الذى ظلمته وأرضه ، فانتبه من النوم ، وفكر فى أمره فقال : ضربت الصياد وأخذت السمكة منه غصباً وظلماً ، وهى التى نكزت يدى فصاحبها خصمى .

فدخل المدينة وسأل عنه فوجده ، فوقع بين يديه ، والتمس منه الإقالة مما جناه ، ودفع إليه شيئاً من ماله ، وتاب من فعله ، فرضى عنه خصمه الصيادُ ، فسكن فى الحال ألمه ،

وبات على فراشه تلك الليلة ، وأقلع عن خطيئته ، ونام على توبة خالصة .

فى اليوم الثانى تداركه الله بلطفه ورحمته ، فرد يده كما كانت ، ونزل الوحى على موسى عليه السلام :

ياموسى وعزتى وجلالى لولا أن ذلك الرجل أرضى خصمه لعذبته مهما امتدت به حياته .

(العقد الفريد للملك السعيد)

٢ — أعظم مثل من القرآن

فى بيان الظلم وسوء عاقبته

يضرب الله لنا مثلاً فى القرآن الكريم فى بيان الظلم وسوء عاقبته فى قصة قارون ، وهى تتلخص فيما يأتى :

قال الله عز وجل : (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ، وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ، وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ ، وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ. قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ، أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا، وَلاَ يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ. فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ، قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا : يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ . وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا، وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ . فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ . وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلاَ أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ . تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) . (القصص من ٧٦ إلى ٨٣)

المعنى — إن قارون كان من قوم موسى ، أى من أتباع موسى ، فظلمهم لما ولاه عليهم فرعون ، وقد منحه الله من الكنوز ما لو حملت مفاتيحه لثقلت على جماعة من الأقوياء إذ قال له قومه لاتفرح ، أى لا تبطر بنعمة الله عليك ؛ إن الله لايحب الفرحين بزخارف الدنيا ، واطلب فيما أعطاك الله من الغنى ماتستحق به النجاة فى الدار الآخرة ، ولا تنس أن تحصل على نصيبك من العيش فى الدنيا ، لتستعين به على تكاليف الحياة ، لا كما يفعل بعض الذين يزعمون الزهد و يعيشون عالةً على غيرهم ، وأحسن إلى الخلق كما أحسن الله إليك ، ولا تطلب الفساد فى الأرض ، فإنك خلقت لتعميرها إن الله لايحب المفسدين .

قال قارون : إنما أوتيت هذا المال بعلم خصصت له . قيل : إنه كان على علم تام بالكيمياء يحول الرصاص فضةً ، والنحاس ذهباً ، فأنكر بهذا أن المال من فضل الله ، ذاكراً أنه استحقه بما عنده من العلم ، فاجتراً على نكران إحسان الله إليه ، ولم يحسب حين اجترائه أن الله قادر على أخذه وأخذ ماله .

ولذا قال الله تعالى ما معناه : ألم يعلم هذا المغرور أن الله قد أهلك من أهل القرون الأولى من هم أشد منه قوةً وأكثر جمعاً ، والله عليم بجرائم المجرمين ، ليس فى حاجة لأن يسألهم ماذا يعملون ؟ .

فخرج على قومه فى زينته ، أى فى موكبه وحوله حاشيته ، فتمنى الذين يطلبون الحياة الدنيا مثل ماعنده من المال ، وقال الذين أوتوا العلم لهؤلاء : ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ، ولا يوفق لهذا العمل إلا من صبر فى الدنيا على الطاعة ، وعن شهوات نفسه ؛ وقد أراد الله أن يبين لهؤلاء المغترين أن الغنى بيده ، وأنه سبحانه القابض الباسط القادر المقتدر ، فخسف بقارون و بداره الأرض ، فما كان له أعوان ينصرونه ، وما كان هو نفسه من المنتصرين .

وأصبح الذين تمنّوا أن يكونوا مثله يقولون : إن الله يبسط الرزق لمن يشاء ، و يقتر على من يشاء لحكمة يعلمها ، فلولا أن منّ الله علينا برحمته لخسف بنا ، فإنه لايفلح الكافرون ، ثم يقول الله تعالى ذكره فى باب الوعظ والاعتبار : تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون تكبراً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين .

فمن هـذه القصة القرآنية يعلم أن الظلم مرتعه وخيم ، وأن الذين يظلمون الناس ، ويتكبرون عليهم لكثرة أموالهم ، ويعملون فى الأرض الفساد تكون عاقبتهم والعياذ بالله سيئة ، ويخسف الله بهم وبأموالهم وديارهم الأرض .

٣ — ظلم أحد الملوك

حكى أن بعض الملوك أغار على قرية فنهبها ، وأخذ أموال أهلها ومواشيهم ودوابهم ، وفتك فيهم بالقتل وغيره ، فخرجت عجوز من بعض الدور ، فنظرت إليه وقالت :

ياويلك من ديان يوم الدين إذا انشقت السماء وبرز الرب لفصل القضاء !.

فقال لها : ياعجوز أما سمعت فى القرآن : (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً) ؟

فقالت له : ياهذا أنسيت الآية الأخرى التى بعدها فى السورة : (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا) .

فقال الملك : ردوا عليهم جميع أموالهم فردوه ، ثم قال : ياعجوز كيف الخلاص ؟

قالت : لاتقنط ، وهو الذى يقبل التوبة عن عباده .

٤ — من ذاق ألم الظلم وهو صغير لا يلجأ إليه وهو كبير

كان لكسرى مؤدب نال على يديه التقدم والرقى ، فضرب كسرى ذات يوم فى غير ذنب ليذوق ألم الظلم فلايظلم وهو ملك ، فتألم كسرى وبحث عن ذنب فعله فلم يجد .

فلما تولى الملك أمر بإحضار مؤدبه فجاء ، فقال له كسرى : فى يوم كذا ضربتنى ولاذنب لى. فقال : أيها الملك العادل: رأيت أنك ستكون ملكاً ذا قول نافذ، وحكم مسموع فأردت أن أذيقك ألم الظلم وأنت صغير حتى لاتلجأ إليه وأنت كبير ، فتعيش آمناً مطمئناً فشكر له عمله ، ورفع منزلته .

٥ — الحجاج الثقفى أظلم الظالمين

هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفى ، قد جمع خلالاً قبيحةً ظاهرةً وباطنةً ، من دمامة الصورة ، وقبح المنظر ، وقساوة القلب ، وشراسة الأخلاق ، وغلظة الطبع ، وقلة الدين ، والإقدام على انتهاك حرمة الله تعالى حتى حاصر مكة المكرمة ، وهدم الكعبة ورماها بالمنجنيق ، وبالنفط والنار ، وأباح الحرم فسفك وهتك .

وقد قيل : إن فى مدة ولايته قتل ألف ألف وستمائة ألف مسلم ، ومات فى حبوسه (سجونه) ثمانية عشر ألف إنسان ، وكان لا يرجو عفو الله ، ولا يتوقع خيره ، وكأنه قد ضرب بينه و بين الرحمة والرأفة بسور من فظاظة وغلظة وقساوة (كما جاء ذكره فى كتاب العقد الفريد للملك السعيد ص ١١٨) .

وقد وقعت منه حادثة فظيعة (لسعيد بن جبير) رحمه الله، تدل على مبلغ جبروته وظلمه وحبه لسفك الدماء ، ويصح أن يقال عنه : إنه أظلم الظالمين ، وهى تتلخص فيما يأتى :

كان سعيد بن جبير — وهو أحد أعلام التابعين — المتشيعين للامام على رضى الله عنه، رجلاً صالحاً تقيًّا زاهداً ، يسكن فى صومعة فى الجبل يتعبد فيها ، وكانت الوحوش تأتى ليلاً وتحيط بصومعته لحراسته ؛ فلما علم الحجاج بأمره أرسل فى طلبه بعض جنوده فقالوا له : لا يمكننا الوصول إليه لأنه فى صومعة بعيدة فى الجبل تحيط بها الوحوش ، ونخشى إن توجهنا إليه أن تفترسنا الوحوش ، فأغلظ عليهم فى الطلب ؛ فلما ذهبوا إلى إحضاره صباحاً قال لهم سعيد : الحجاج اليوم قاتلى .

فلما حضر أمامه ، قال له الحجاج : ما اسمك ؟ قال : سعيد بن جبير . قال : بل أنت شقى بن كسير . قال : بلى كانت أمى أعلم باسمى منك . قال : شقيت أمك وشقيت أنت . قال : الغيب يعلمه الله . قال : لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى . قال : لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهاً . قال : فما قولك فى محمد ؟ قال : نبى الرحمة وإمام الهدى .

قال : فما قولك فى على ؟ أهو فى الجنة أم هو فى النار ؟ قال : لو دخلتها وعرفت من فيها عرفت أهلها . قال : فما قولك فى الخلفاء ؟ قال : لست عليهم بوكيل . قال : فأيهم

أعجب إليك ؟ قال : أرضاهم لخالق . قال : فأيهم أرضى للخالق ؟ قال : علم ذلك عند الذى يعلم سرهم ونجواهم . قال : أحب أن تصدقنى . قال : إن لم أجبك فلن أكذبك . قال : فما تقول فى عبد الملك بن مروان ؟ قال : فمالك تسألنى عن امرئ أنت واحد من ذنوبه ، قال : فما بالك لم تضحك ؟ قال : وكيف يضحك مخلوق خلق من طين ، والطين تأكله النار . قال : فما بالنا نضحك ؟ قال : لم تستو القلوب .

ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فجمعه بين يديه ، فقال سعيد : إن كنت جمعت هذا لتتقى به فزع يوم القيامة فصالح ، وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، ولا خير فى شئ جمع للدنيا إلا ماطاب وزكا .

ثم دعا الحجاج بالعود والناى ، فلما ضرب العود ونفخ فى الناى بكى سعيد فقال : مايبكيك ، هو اللعب ؟ قال سعيد : هو الحزن ؛ أما النفخ فذكرنى يوماً عظيماً يوم النفخ فى الصور ، وأما العود فشجرة قطعت فى غير حق . قال الحجاج : ويلك ياسعيد . قال : لاويل لمن زحزح عن النار وأدخل الجنة . قال الحجاج : اختر قتلة أقتلك بها ؟ قال : اختر لنفسك ياحجاج فوالله لاتقتلنى قتلة إلا قتلك الله مثلها يوم القيامة . قال : أفتريد أن أعفو عنك ؟ قال : إن كان العفو فمن الله ، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر .

قال الحجاج : اذهبوا به فاقتلوه . فلما خرج ضحك ، فأخبر الحجاج بذلك فرده إليه وقال : ما أضحكك ؟ قال : عجبت من جراءتك على الله ، وحلم الله عليك .

فأمر بالنطع والسيف وقال : اقتلوه .

فقال سعيد : وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين . قال : وجهوا به لغير القبلة . قال سعيد : فأينما تولوا فثَمَّ وجه الله .

قال : كبوه على وجهه . قال سعيد : منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارةً أخرى . قال الحجاج : اذبحوه . قال سعيد : أما إنى أشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبد الله ورسوله ، خذها منى حتى تلقانى بها يوم القيامة ، ثم دعا سعيد فقال : اللهم لاتسلطه على أحد يقتله بعدى ؛ وكان قتله فى شعبان سنة خمس وتسعين الهجرة (بواسط) . وقيل : إن الحجاج هو الذى قتله بيده ، ولما قتله لم يزل دمه يغلى حتى ملأ

أثواب الحجاج ؛ فلما رأى ذلك هاله وأفزعه حتى منع عنه النوم ، ولم يعش بعد ذلك إلا مدةً قليلةً .

ومات الحجاج بعده فى رمضان من السنة المذكورة ، ولم يسلطه الله على قتل أحد إلى أن مات . (عن معجم الأدباء لياقوت)

٦ — الملك الظالم والمرأة الضعيفة المتظلمة

حكى اليافعى : أن امرأة من بنى إسرائيل كان لها دار بجوار الملك وقصره ، وكانت تشين القصر ، وكلما رام الملك منها أن تبيع الدار أبت أن تبيع منه ، فخرجت المرأة فى سفر فأمر الملك بهدمها ؛ فلما جاءت المرأة من السفر قالت : مَن هدم دارى ؟ قيل لها : الملك . فرفعت طرفها إلى السماء وقالت : إلهى وسيدى ومولاى ، غبت أنا وأنت حاضر ، للضعيف معين ، وللمظلوم ناصر .

ثم جلست فخرج الملك فى موكبه ، فلما نظر إليها قال لها : ماتنتظرين ؟

قالت : أنتظر خراب قصرك ، فهزأ بقولها وضحك منها .

فلما جنّ عليه الليل خسف به و بقصره ، ووجد على بعض حيطان القصر هذه الأبيات :

أتهزأ بالدعاء وتزدريه ... وما يدريك ماصنع الدعاء ؟
سهام الليل لاتخطى ولكن ... لها أمد وللأمد انقضاء
وقد شاء الإله بما تراه ... فما للملك عندكم بقاء

وقيل إن سيدنا داود عليه السلام : دعا بهلاك جبار كان يظلم الناس فى عصره ، فأوحى الله تعالى إليه : « ياداود إنى قد قضيت عليه فى سابق علمى بوقوع أمور على يديه ثم نؤاخذه بها يوم القيامة ، فاصبر حتى تمضى تلك الأمور » فسكت داود عن الدعاء عليه . انتهى من مصباح الظلام . (نقلاً من كتاب المنظومة الشكرية ج ٣ ص ٢٦٤)

٧ — حكاية اخرى عن شر الجور

نقلت الرواة الثقاة ، والنقلة الأثبات : أن مالك بن أنس إمام دار الهجرة رضى الله عنه قال : بعث إلىّ أبوجعفر المنصور و إلى ابن طاوس ، فدخلنا عليه ، وهو جالس على فرش قد نضدت له ، و بين يديه أنطاع قد بسطت وجلاد وهم بأيديهم السيوف لضرب رقاب الناس .

فأومأ إلينا بالجلوس ، وأطرق عنا طويلاً ، ثم التفت إلى ابن طاوس فقال له : حدثنى عن أبيك ، قال : نعم ! سمعت أبى يقول :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَشْرَكَهُ اللهُ فِي حُكْمِهِ ، فَأَدْخَلَ عَلَيْهِ الْجَوْرَ فِي عَدْلِهِ » .

قال مالك : فضممت ثيابى مخافة أن يملأنى دمه .

ثم التفت إليه أبوجعفر فقال : عظنى يا ابن طاوس . قال : نعم . أما سمعت الله يقول : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ . وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ) إلى قوله : (لَبِالْمِرْصَادِ) .

قال مالك : فضممت ثيابى أيضاً مخافة أن يملأنى دمه .

فأمسك المنصور ساعة ثم قال : يا ابن طاوس ، ناولنى الدواة ، فأمسك ابن طاوس ولم يناوله إياها وهى فى يده ، فقال : مايمنعك أن تناولنيها ؟

قال : أخشى أن تكتب بها معصيةً لله فأكون شريكك فيها .

فلما سمع ذلك أبوجعفر المنصور قال : قُوما عنّى .

قال ابن طاوس : ذلك ما كنا نبغ .

قال مالك : فما زلت أعرف لابن طاوس بعدها فضله .

(العقد الفريد)

٨ — نادرة أخرى فى الظلم

روى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : جلس أبى للمظالم يوماً ، فلما انقضى المجلس رأى رجلاً جالساً فقال : ألك حاجة ؟ قال : نعم ، تدنينى إليك فإنى مظلوم ، قد أعوزنى العدل والإنصاف .

قال من ظلمك ؟ قال : أنتَ ، ولستُ أصل إليك فأذكر حاجتى .

قال : وما يحجبك ، وقد ترى مجلسى مبذولاً !

قال : يحجبنى عنك هيبتك ، وطول لسانك ، وفصاحتك . واطراد حجتك .

فقال : فمم ظلمتك ؟ قال : فى ضيعتى الفلانية ، أخذها وكيلك غصباً منى بغير ثمن ، فإذا وجب عليها خَراج أديته باسمى لئلا يثبت لك اسم فى ملكها فيبطل ملكى ، فوكيلك يأخذ غلتها ، وأنا أؤدى خراجها ، وهذا لم يسمع بمثله فى المظالم .

فقال له محمد : هذا قول يحتاج إلى بينة وشهود وأشياء .

فقال له الرجل : أيؤمننى الوزير من غضبه حتى أجيب ؟

قال : نعم قد أمّنتك ، قال : البينة هم الشهود ، و إذا شهدوا فليس يحتاج معهم إلى شىء آخر ، فما معنى قولك : بينة وشهود وأشياء ، ماهى هذه الأشياء إلا العىّ ، والحصر ، والتغطرس ، وعدولك عن العدل .

فضحك محمد وقال : قد صدقت (والبلاء موكل بالمنطق) و إنى لأرى فيك مصطنعاً ، ثم وقع له بردّ ضيعته ، وأن يطلق له كرّ[1] حنطة ، وكرّ شعير ، ومائة دينار يستعين بها على قيام ضيعته ، وصيّره من أصحابه .

وكان قبل أن يتوصل إلى الإنصاف و إعادة ضيعته يقال له : يافلان كيف الناس ؟ فيقول: بشرّ، بين مظلوم لاينتصر، وظالم لاينصف .

فلما صار من أصحاب عبد الملك وردّ عليه ضيعته ، قال له ليلة : كيف الناس الآن ؟

قال : بخير ، قد اعتمد معهم الإنصاف ، ودفع عنهم الإجحاف ، وردت عليهم الغصوب ، وكشفت عنهم الكروب ، وأنا أرجو لهم ببقائك نيل كل مرغوب .

---

(١) الكر بضم الكاف : مكيال للعراق، وستة أوقار حمار، أو هوستون قفيزا . انتهى من القاموس.

٩ — نادرة أخرى

قيل : إن يهوديًا وقف لعبدالملك بن مروان فقال : ياأمير المؤمنين إن (ابن هرمز) نائبك قد ظلمنى ، فأنصفنى منه ، وأذقنى حلاوة العدل ، فلم يقض حاجته .

ثم عاد ووقف له مرةً ثانيةً ، ثم عاد ووقف له مرةً ثالثةً فلم يلتفت إليه .

فقال اليهودى : يا أمير المؤمنين ، إنا نجد فى التوراة المنزلة على موسى كليم الله ، أن الإمام لا يكون شريكاً فى ظلم أحد ولا جوره حتى يرفع إليه ، فإذا رفع إليه ولم يغيره ، شركه فى الظلم والجور .

فلما سمع عبد الملك قوله ، فزع منه وأنفذ فى الحال إلى (ابن هرمز) وعزله ، وأخذ بحق اليهودى منه . (العقد الفريد)

١٠ — موعظة حسنة

خرج ملك ظالم مع وزيره لاستنشاق الهواء النقى بين الرياحين والأزهار ، فمرا بشجرة يبست أغصانها ، فسمعا صوت بُوم تكلم أخرى ؛ فسأل الملك وزيره عن غرضها ؟ فقال له : أيها الملك الجليل ، إنها تطلب صداقها من زواجها وقدره أربعمائة قرية خربة .

فقال لها : إن دام حكم هذا الملك أعطيتك ثمانمائة قرية خربة .

فاتعظ الملك بهذا الكلام ، وعدل عن ظلمه ، فعمرت البلاد ، وحسنت أحوال العباد ، واستقامت الأمور .

فإن العدل أساس الملك ، و به رقىّ الأمم والعمران .

والبغى يصرع أهله والظلم مرتعه وخيم

١١ — المغتصب الظالم

اغتصب بعض الأغنياء حقلاً وحيداً لامرأة فقيرة كان بجوار حديقة له فأدخله فيها ، وخرج هذا المغتصب ذات يوم يتنزه فى حديقته ، فدخلت عليه المرأة المسكينة — وهى تحمل كيساً فارغاً — فحيته وقالت له ، والدمع ملء عينيها :

قد أتيتك يامولاى راجيةً منك أن تمنحنى إحساناً ، وهو أن تأذن لى بأخذ ما يملأ هذا الكيس تراباً من أرض أبى ؟ فأجابها الرجل بالإيجاب .

و بعد أن ملأت المرأة كيسها قالت له : هل يسمح لى سيدى بأن يعينى على حمل هذا الكيس على ظهرى ؟

فأبَى بدعوى أنه لم يتعود على مثل ذلك .

فأخذت المرأة تتوسل إليه إلحافاً حتى قبل ، ولكنه مع ذلك لم يقدر أن يرفعه قدر شعرة من الأرض وقال لها وهو يلهث : يستحيل أن أقدر على ذلك أيتها المرأة ؟

فقالت له بصوت يتهدج بالأسف والحزن : إن كان هذا الكيس المملوء بالتراب يظهر لك ثقيلاً إلى هذا الحد ، فكيف تستطيع أيها الظالم أن تحمل هذه الأرض التى اغتصبتها منى ، وهى تملأ ألوف أضعاف هذا الكيس ؟ وأنشدت قول الشاعر :

يأيها الظالم فى فعله ... الظلم مردود على من ظلم
إلى متى أنت وحتى متى ... تضر المصاب وتنسى النقم ؟

كيف حالك ، يوم لاينفعك فيه شفاعة ، ولامال ولابنون ، والأمر يومئذ لله ؟ فى يوم يأخذ الله للمظلوم من الظالم حقه ، يوم يجازى الله الناس على قدر أعمالهم (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) ، ثم أنشدت قول الشاعر :

غداً توفى النفوس ما كسبت ... ويحصد الزارعون ما زرعوا
إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم ... وإن أساءوا فبئس ما صنعوا

كيف تجيب مولاك إذا سألك بأى حق اغتصبت حقوق الفقراء ؟ و بأية شريعة أخذت أموال الناس بالباطل . أيها المغرور بنفسك ؟ العاصى أمر ربك .

فأثر هذا الكلام فى قلب الرجل حتى فاضت عيناه من الدمع حزناً وأسفاً على مافعل ، وبادر بإرجاع الحقل إلى صاحبته ، وتندم على مافرط منه ، وتاب للخالق توبةً نصوحًا ، وتذكر قول الشاعر :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً ... فالظلم آخره يأتيك بالندم
نامت عيونك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

١٢ — مثال الاستبداد

اتصف أحد الملوك بالطائف بالظلم والاستبداد برعيته ، فمر بامرأة فقيرة ترضع صبياً يتيماً بلبن عنزتها ، فأخذها منها ، وكانت سنة مجدبة ، فبقى الصبي بلا مرضعة ، فمات ضحية استبداد هذا الملك .

وشكت المرأة أمرها إلى الله ، فرمى الله الملك بقارعة فأهلكته ، ورجمت العرب قبره جزاء وفاقاً .

١٣ — الظلم يذهب البركة

قال ابن عباس : إن ملكاً من الملوك خرج يتعهد أمر مملكته متنكراً ، فنزل على رجل له بقرة حلوب تحلب قدر ثلاث بقرات يومياً ، فتعجب الملك من ذلك ، وحدثته نفسه بأخذها . فلما كان الغد حلبت له النصف مما حلبت بالأمس .

فقال له الملك : مابال حلبها ينقص ؟ أرعت فى غير مرعاها بالأمس ؟

فقال : لا ، ولكن أظن أن ملكنا رآها أووصله خبرها ، فهمّ بأخذها فنقص لبنها ، فإن الملك إذا ظلم أوهمّ بالظلم ذهبت البركة .

فتاب الملك وعاهد ربه فى نفسه أن لايأخذها ، وأن لايحسد أحداً من الرعية ، فلما كان الغد حلبت حسب عادتها .

١٤ — متى حل الظلم بأرض زالت البركة منها

خرج كسرى أنوشروان إلى الصيد يوماً ، واعتزل عسكره ، فعطش فرأى ضيعةً قريبةً منه ، فقصدها حتى وقف على باب دار قوم ، وطلب منهم الماء ليشرب ، فخرجت فتاة ، فلما رأته عادت إلى البيت مسرعة ، فعصرت قصبة سكر ومزجتها بماء ، وخرجت به فى قدح إليه .

فنظر القدح ، فرأى فيه شراباً وقذى ، فشرب منه شيئاً فشيئاً حتى انتهى إلى آخره وارتوى ثم قال :

نعم الماء لولا ما فيه من القذى (ماتستقذره النفس) فقالت له الفتاة : أنا ألقيته عمداً ، فقال لها : ولمَ فعلتِ ذلكِ ؟ فقالت :

لما رأيتك شديد العطش خشيت أن تشربه مرةً واحدةً فيضرّ بك شربه . فعجب كسرى من ذكائها وفطنتها ، ثم قال لها : كم عصرت من قصبة ؟ فقالت : عصرت فيه قصبة واحدة ، فعجب من ذلك .

فلما مضى طلب اسم المكان ، وكان قد نسيه ، فرأى خراجه قليلاً ، فحدثته نفسه أن يزيد خراجه .

و بعد حين مرّ بذلك المكان منفرداً ، ووقف على ذلك الباب ، وطلب الماء ليشرب فخرجت له الصبية عينها ، ورأته فعرفته ، وعادت مسرعة تمزج له الماء فأبطأت ، فلما خرجت إليه قال لها : قد أبطأت ، فقالت له : نعم ، لأني عصرت ثلاث قصبات حتى امتلأ هذا القدح .

فقال لها : وما سبب ذلك ؟ فقالت : من تغير نية الحاكم ، فقد سمعنا أنه إذا تغيرت نية السلطان على قوم زالت بركاتهم ، وقلت خيراتهم .

فضحك أنوشروان ، وأزال ما كان قد أضمره لهم من زيادة الخراج ، ثم تزوج بتلك الفتاة لعجبه بها من فصاحتها وذكائها

١٥ — الحجاج والأعرابي « فكاهة »

انفرد الحجاج يوماً عن عسكره ، فلقي أعرابيًّا فقال له : يا أخا العرب كيف الحجاج ؟

فقال : ظالم غاشم . قال : هلا شكوته إلى عبد الملك بن مروان ؟

قال : أظلم وأغشم ، عليهما لعنة الله .

فبينما هو كذلك ، إذ تلاحقت به عساكره ، فعلم الأعرابي أنه الحجاج .

فقال الأعرابي : أيها الأمير السرّ الذي بيني و بينك لاتطلع عليه أحداً إلا الله .

فتبسم الحجاج وأحسن إليه وانصرف .

نكتفي بذكر هذه الأمثال ، ومن أراد المزيد فليطلع على كتابنا السمير المهذب (الجزء الثالث) والصلاة والسلام على سيدنا محمد في المبدأ والختام .

النهى عن معاونة الظالم

قد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالابتعاد عن الإجرام ، وعن معاونة الظلمة المجرمين .

قال تعالى : (قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ) (القصص ١٧)

ونهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معاونة الظالم ومساعدته على التمادى فى ظلمه

قال : « مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا لِيُدْحِضَ بِبَاطِلِهِ حَقًّا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ » .

(رواه الطبرانى والأصبهانى)

وقال أيضاً « مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا عَلَى خُصُومَةٍ لَمْ يَزَلْ فِى سَخَطِ اللهِ حَتَّى يَنْزِعَ » .

(رواه ابن ماجه والحاكم)

ومع الأسف نجد بعض المحامين (ممن لاذمة ولا خلاق لهم) يدافع عن موكله وهو يعلم أنه ظالم ، ولا حق له فى دعواه ، بل ويساعده على الباطل ، بأن يخلق له من الحجج والأسانيد مايعزز مركزه فى القضية ، ويحمله على الإتيان بشهداء الزور[1] ، وإحضار الشهادات والضمانات المزورة الملفقة ، ليستعين بها على خصمه فى كسب دعواه ، والانتصار عليه ، فضلاً عن أن يوحى إليه وإلى الشهداء المزورين ضروباً من الضلال ما كانوا يعرفونها ، كل ذلك طمعاً فى كسب المال ، ناسياً أومتناسياً قوله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ جَادَلَ فِى خُصُومَةٍ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ لَمْ يَزَلْ فِى سَخَطِ اللهِ حَتَّى يَنْزِعَ » .

(رواه ابن أبى الدنيا والأصفهانى)

وكثيراً ماينتصرون بباطلهم على الحق ، فتضيع الحقوق ، ويأكلون أموال الناس بالباطل ، ويوم القيامة يقول لهم رب العزة : (هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً) . (النساء ١٠٨)

مع أن الأمانة التى يحملها المحامى عن موكله فى حدود الشرع الشريف ، لا تسمح له بأن يكون موكلاً فى باطل يعلم أنه باطل ، ولا يجوز له أن يترافع ويدافع عن الظالم بغير وجه حق ، فإن ترافع عنه فقد شاركه فى الإثم والعدوان ، وأعانه على الظلم والبهتان ،

---

(١) انظر كلمة صغيرة فى شهادة الزور ؛ وشهداء الزور ستأتى بعد .

لأن مبرئ اللص لص ، ومجرم البرىء مجرم ، ومطلق القاتل سفاك سفاح ؛ وجاء فى الأمثال : (من تستر على اللص فهو لص مثله) .

وأن المال الذى يأخذه منه فهو حرام ، لايجوز له بحال من الأحوال أن يتناوله ، ولا أن يطعم منه أولاده ، فإن طعم هذا المكسب وأطعمه إياهم ، فكأنه أعطى لهم سمًّا فيأكلون فى بطونهم ناراً ، ويكون عليه الوزر والعذاب فى الدار الآخرة ، لأن المكسب الذى يناله المحامى من التوكيل فى قضايا يعلم أن أصحابها هم الظالمون مكسب حرام ولاشك ، لايجوز أن يأخذه ، وهو ومال الرشوة سواء بسواء ، كل منهما مال سحت حرام مهلك .

وأما ما يكسبه المحامى الشريف النزيه من قضايا شريفة ، يعلم أن صاحبها مظلوم حقيقةً فمكسب حلال لاشبهة فيه ، يأكل منه ويطعم أولاده حلالاً طيباً ، فيزيدهم صحةً وعافيةً ، واستقامةً ، ونجاحاً فى مستقبلهم ، لأن الغذاء الطيب الحلال ولو كان من خبز الشعير الجافّ يثمر فى صحة آكله ، ويزيده قوةً وعافيةً واستقامةً ، بخلاف الغذاء الخبيث الحرام ، مهما كان من أشهى الأطعمة وألذ المآكل لايثمر فى جوف آكله ، بل يسبب له الأمراض والعلل ، ويولد عنده سوء الأخلاق الذى يؤدى إلى الهلاك (والعياذ بالله) .

فالحذر الحذر أيها المحامون من أن تقبلوا توكيلاً عن الظالم مهما أعطاكم من المال ، أو تزلف إليكم بمعسول الأقوال .

والحذر كل الحذر من أن تستغلوا ظروف المظلوم وضعفه ، وعدم قدرته ، وترهقوه بطلب أتعاب باهظة ، واذكروا دائمًا أن عليكم واجبًا (وهو نصرة الحق على الباطل ، والأخذ بيد المظلوم ، والضرب على أيدى الظالم) .

ومتى شئتم معاونة الظالم فيكون ذلك بنهيه عن ارتكاب الظلم ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، قَالُوا : يَارَسُولَ اللهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ فَقَالَ تَأْخُذُ فَوْقَ يَدِهِ » .

فبذلك تنصرون العدالة ، وتساعدون على إيصال الحقوق لأصحابها ، ويكون لكم عند الله الجزاء الأوفى .

شهـادة الزور

تقلب الحق باطلاً ، والباطل حقًّا

الجريمة العظمى ، والـكبيرة المنكرة هى شهادة الزور ، وقول الزور ، التى فشت فى هذا الزمان ، وصارت صنعة ووظيفة الـكثير من الناس ، يتكسبون منها مالاً حرامًا ، وسحتًا مهانًا ، ويأخذون أجراً على قلب الحق باطلاً ، وتصوير الباطل حقًّا ، واتهام البرىء ، وتبرئة المسىء ، وطمس الحقائق ، وتغيير الوقائع ، أولئك جند إبليس ، وأعوان الشيطان ، ومن أدنياء الخلق ، وأبغضهم إلى الخالق ، حيث خالفوا أمره ، وأضروا عباده ، وهو تعالى يقول : (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) .

وقال تعالى : (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا) .

كثرت المحاكم وتعددت ، وزادت الحوادث وتنوعت ، وعظمت المطامع ، وخربت الذمم ، وضعف صوت الدين فى القلوب ، فباع السفهاء ألسنتهم ، ولم يعلموا أنهم بذلك قد باعوا دينهم ، لأن شهادة الزور تساوى الشرك بالله ، وتعادل فى الإثم عبادة الأوثان .

قال صلى الله عليه وسلم : « عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ إِشْرَاكًا بِاللهِ » .

ثم قرأ قوله تعالى : (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ) .

يقف شاهد الزور أمام قاض يتلو شهادة كاذبة ، حفظها عن ظهر قلب وجزاء دراهم معدودة ، وفى سبيل قروش محدودة ، يخرب البيوت العامرة بشهادته ، ويسجن هـذا ، ويظلم ذاك ، وينسى أنه سيقف بمجلس القضاء الإلهى ، أمام الخالق جل وعلا ، وهو أحكم الحاكمين ، ولا يعلم أنه بشهادة الزور قد بنى لنفسه بيتاً فى النار ، فقد قال صلى الله عليه وسلم:

« لَنْ يَزُولَ قَدَمُ شَاهِدِ الزُّورِ حَتَّى يُوجِبَ اللهُ لَهُ النَّارَ » .

وقد وصف الله عباده بأنهم لا يشهدون الزور فقال :

(وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) .

وأمر بالعدل والقسط حتى فى حال الكره والبغض ، فقال تعالى : (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لاَ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) .

وليست شهادة الزور قاصرة على المحاكم ، فمن شهادة الزور أن تصف مسلمًا بغير حقيقته لتنفر منه الناس ، وتحط من قدره .

ومن شهادة الزور أن تسأل عن زميل لك فترفعه إلى السماء وأنت راض عنه ، أو تخفضه إلى الأرض وأنت ساخط عليه .

ومن شهادة الزور أن يسألك شاب عن عائلة تعرفها ليتزوج منها ، فتشوه له الحقيقة ، وتغشه وتخدعه .

ومن شهادة الزور أن تنتقص عمل المخلصين ، وتمدح الخاملين والعاجزين ، وكل قول تخالف فيه الحقيقة ، فهو من شهادة الزور .

فاتقوا الله وزنوا أقوالكم قبل صدورها ، وقبل أن تحسب عليكم ، ولا تكتموا شهادة الحق ، فقد قال تعالى : (وَلاَ تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَتَمَ شَهَادَةً دُعِيَ إِلَيْهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَ زُورًا »

وقال صلى الله عليه وسلم : « أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟ قَالُوا بَلَى يَارَسُولَ اللهِ ، قال : الْإِشْرَاكُ بِاللهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، أَلاَ وَشَهَادَةُ الزُّورِ وَقَوْلُ الزُّورِ ، وكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ » .

من خطبة من كتاب الوعظ

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود على أحمد

مختصر قصيدة فى الظلم

لحضرة صاحب السعادة السيد شكرى باشا

الظلم حرّمه الإله بشرعته ... ونهى العباد عن ارتكاب جريمته
لم يرضه وصفًا له سبحانه ... وهو القوىّ بقهره وبعزته
أسماؤه الحسنى نفت أضدادها ... وحوت صفات جماله وجلالته
فهو الرءوف بخلقه والعدل فى ... أحكامه وهو العزيز بحكمته
ماكان ربك للعبيد بظالم ... لكنهم ظلموا بهجر إطاعته
فجزاؤهم منه العقاب وإنه ... رب غفور للمتيب بتوبته
والظلم من شيم النفوس سوى التى ... عصم الإله بفضله وبمنته
كالأنبيا والصالحين أولى النهى ... والمؤمنين العاملين بشرعته
والظلم منشؤه القساوة والهوى ... واللهو عن ذكر الإله وخشيته
ظلم الفتى يوم القيامة ظلمة ... لايستطيع خروجه من ظلمته
إذ لا نصر لظالم حين الجزاء ... من قهر مولانا وشدة بطشته
والظلم والظلمات أعداء لمن ... يقضى بنور الله بين خليقته
كالنفس والشيطان من يتبعهما ... ضل الهوى حقًا وباء بخيبته
والظلم يوجب فتنة فتجنبوا ... ظلم العباد تفادياً من ظلمته
إذ ربما عمت مصيبته كما ... قال الإله لنا بمحكم آيته[1]
يأيها الناس اتقوا الله الذى ... أنتم إليه سترجعون بقدرته
واخشوا عسير حسابه لا تظلموا ... وتمسكوا بالعدل حسب شريعته
للظالمين النار مثواهم كما ... للعادلين خلودهم فى جنته
فالله ليس بغافل عن ظلمهم ... لكن يؤخرهم لوقت عقوبته
فى عاجل أو آجل كمراده ... فهو القدير وكلنا فى قبضته

(١) قال تعالى : (واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب) . (الأنفال)

والظلم مرتعه وخـــيم لامرئ ... فى هـذه الدنيا ويوم قيامته
يوم عبوس كربه عمَّ الورى ... لم ينج منه سوى القليل بطاعته
وإذا الظلوم رأى شدائد كربه ... عضَّ الأنامل نادماً مع حسرته
والكل مشغول بحالة نفسـه ... فى دهشته من هوله وفظاعتـه
لا والد يجـــزى ولا مولوده ... عن بعضهم شيئاً كما فى آيته[1]
إلا الذين بربهـم قد آمنوا ... فأصولهم وفروعهم فى جنتـــه
فالأصل تنفعه الفروع الأتقيا ... والفرع يلحق أصـــله بديانته
فاقرأ كتاب الله واعـلم ما به ... وافطن لقول المصطفى ولحكمته
يُمـــلى الله لظالم ويمده ... لزيادة فى إثمه وغوايتـــه
حتى إذا حلَّ العقاب فأخـذه ... أخذ أليم زائد فى شـــدته
لايهمل المولى عقـــوبة ظالم ... لـكن يمهـل لوقت عقوبته

(المنظومة الشكرية الجزء الثالث)

وقال فى قصيدة أخرى تحذيراً للظالم

يا ظالمـا للناس عمداً فارتقب ... نقم الإله لظالم فى أمتـــه
لاتحسبن الله عنك بغافل[2] ... مهلاً سيأتيك الحساب بدقته
هو عالم بالمعتـدين وإنمـا ... أجل مسمى عنده لعقوبته
يُملى لك المولى إلى يوم الجزا ... يوم عبوس للعصاة بظلمتـه
فارجع لربك نادماً ومؤدياً ... حق العباد كما أمرت بشرعته
عدم الوفاء بحق ربك والورى ... ظلم فأوف الحق قبل إضاعته
وبذلك تنجو من أليم عقابه ... وتفوز بالحسنى وخير عطيته
من يتقى غضب الإله فقد نجا ... ياصاح تب ثم استقم فى خدمته
فلعـله يرضى ويغفر ما مضى ... فهو الغفور لصادق فى توبته

(المنظومة الشكرية ، الجزء الثالث)

(١) هى قوله تعالى : (يأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لايجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً) .

قصـــيدة

فى النهى عن إعانة الظالم ، وكيف يكون نصر المظلوم

(لحضرة صاحب السعادة السيد شكرى باشا)

لا تركنوا للظالمين تمسكم ... نار اللظى معهم بحكم عدالته

وتعاونوا دوماً على نصح الذى ... هو ظالم مهما يكن من سلطته

منعاً لظلم قد يجر بشره ... سوء العواقب فاحذروا من آفته

من ينصر المظلوم فى الدنيا يرى ... نصر الإله بها ويوم قيامتـه

لاخير فى قوم أضاعوا بينهم ... حقا لمظلوم ولو لعـــداوته

ودعاء مظلوم مجاب لا مرا ... ء مهما يكن من حاله وعقيدته

والظالمون عقابهم إن لم يكن ... حالاً يكن يوم الجزاء وكربته

من عاون الظُّلام كان منافقاً ... وأشـد ظلماً منهمو فى أمته

لاترج خيراً من معاون ظالم ... فهو المضيع للحقوق بخطته

أين المروءة والأمانة فى امرئ ... دوماً يُرى متـلوناً فى هيئته

وتراه خداعاً يميل مع الهوى ... حسب الظروف بطبعه وغوايته

ويقول أيضاً غير ماهو فاعل ... متبجحاً من خبثـه ولآمته

حلو اللسان وصدره لك علقم ... ويروغ منك كثعلب فى روغته

يسعى لخذل الحق ناصر باطل ... بئس النصـير لباطل بخيانته

خان الأمانة والعهود ولم يخف ... غضب الإله وطرده من رحمته

إن الخيـانة والنفاق كلاهما ... وصف لمن هو مارق من ملته

أيظن أن الحق يطفأ نوره ؟ ... كلا ويدفع باطلاً مع ظلمته

من لم يكن حرّ الضمير فلا يرى ... متمسكاً بالصدق بين عشيرته

وبهذه الأوصاف يبلى خائن ... للعهـد والميثاق بل وأمانته

يأيها الرجل المعـين لظالم ... أبشر بخزى عاجـل ومهانته

فضلاً عن النار التى تكوى بها ... مع من أعنت لدى الجزاء وكربته
نصر الظلوم بنهيه عن ظلمه ... لا بالركون له ولا بإعانته[1]
ياصاحب الحق اصطبر ثم ارتقب ... نصراً من المولى كوعد جلالته
هو ناصر المظلوم خاذل ظالم ... فعليه كن متوكلاً مع طاعته
هو قائم بالقسط بين عباده ... هو ربنا كل الأمور بقبضته
فيرد حقك كاملاً ولربما ... أعطاك خيراً زائداً من منّته
فاصبر كصبر المهتدين أولى النهى ... فالأجر مضمون كما فى آيته

(المنظومة الشكرية، الجزء الثالث)

التحذير من أكل مال اليتيم ظلماً

خطبة منبرية لفضيلة الأستاذ محمد مرسى طنطاوى

(المدرس بمعهد الزقازيق)

الحمد لله الذى حذر من أكل مال اليتيم، وأوعد الذين استباحوا أكل ماله بإصلائهم عذاب الجحيم، سبحانه له الأمر والنهى وإليه رجوعنا أجمعين.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، الذى جعل أكل مال اليتيم من الموبقات.

اللّهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه الذين عاونوه ونصروه، واتبعوا النور الذى أنزل معه، أولئك هم المفلحون. قال الله تعالى وهو أصدق القائلين:

(إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا).

اليتيم فى العرف الصغير الذى فقد أباه، هو الذى حرمه الدهر من أن يحظى بعطف أبيه وتحنانه، حرمه الدهر من أن يتروّض فى بستان تلك الرحمة الأبوية، ذلك البستان

---

(١) يشير بهذا إلى حديث: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً».

الذى فيه من كل فاكهة من فواكه الحياة زوجان ، وفيه من أصناف الخير ، تلك الخيرات الحسان .

نعم حرمه الدهر من كل هذا ، وأصبح وحيداً محتاجاً إلى من يساعده ، ويقوم بشئون حياته ، محتاجاً إلى من ينسيه بحنانه فقدان أبيه ، ويجعله يشعر بالطمأنينة ، يشعر بأن أباه لازال على مدى الدهر حيًّا .

لهذا جعل الله لليتامى أوصياء ، هم بمثابة آبائهم فى القيام بشئونهم ، والمحافظة على أموالهم ، وجعل لكل وصى حدوداً لايتعداها ، وحذره كل التحذير من أن تمتد يده إلى مال اليتيم فيأخذه بغير حق ، وصوّر له أكل مال اليتيم بأكل النار فى البطون ، وتصوروا كيف تفعل النار فى البطون ؟ إنها لتذيب الأمعاء ، وتفرى الأكباد ، وتلتهم القلوب ، ولا يكون بعد ذلك إلا الموت (والعياذ بالله) .

هـذا نستطيع أن نتصوره فى النار الحسِّية ، أما النار المعنوية ، وهى موضوعنا الذى نتكلم فيه ، فإنها لاتفترق عن النار الحسِّية فى شئ ، إذ هى تلتهم مافى القلوب من غرائز الشفقة والحنان ، تلتهم ماهو كامن فى القلوب من الخوف من الله ، والحذر من عذابه .

بل تلتهم ماهو مطبوع على صفحات القلوب من العقيدة الحقة ، والإيمان الصحيح ، تلتهم كل هذا ، فيصبح الإنسان هيكلاً جسميًّا فحسب ، ليس له من الإنسانية إلاصورتها وما ذلك إلا الموت ، بل لاموت فى الحقيقة إلا هذا ، إذ هو الخسران المبين ديناً ودنيا .

أيها الأوصياء : إن رأيتم أن اليتيم صغير لايستطيع أن يدفع عن نفسه ، لايستطيع أن يأخذ حقه منكم لضعفه ، فثقوا بأن له ربًّا قويًّا سيأخذ حقه منكم ، ويحاسبكم على ذلك حساباً عسيراً .

إن رأيتم أن اليتيم غفل عن حقه ، فثقوا بأن له ربًّا لاتأخذه سنة ولا نوم .

أيها الأوصياء : أتظنون (وبعض الظن إثم) أن تسديد الكشوف مزوّرة ، وتقديمها إلى الجهات المختصة لتكونوا أبرياء يجعلكم عند الله أبرياء ؟

كلا والله ، إن الجهات المختصة عاملتكم بمقتضى اللوائح والقوانين ، ولكن ربكم سيعاملكم بمقتضى علمه القديم ، فإن كنتم أبرياء نجوتم ، وإلا حلَّت عليكم غضبة الحق ، فشربتم كأس الجزاء مريرة ، وأذاقكم الله بعد ذلك عذاب الهون .

إخوانى : أتكلم فى هـذا الموضوع الخطير ، وأحسُّ برجفة فى قلبى ، واضطراب فى جسمى ، لأنى أتصور الآن ذلك اليتيم الصغير ، وهو بين براثن ذلك الجبار العاتى الذى يلعب به كما يلعب الوحش الكاسر بفريسته .

فلا اليتيم قادر على أن يتخلص من ذلك الجبار ، ولا هو قادر على أن يتمتع بما خلفه له أبوه من الحقوق ، ويستمر على هذا الحال يعانى ألم الظلم ، حتى يقيض الله له من يأخذ بيده ، ويكون له نصيرًا .

ويزيدنى ألمًا أن بعض الذين تحجرت عقولهم ، وطمست قلوبهم عن رؤية الحق ، يتهمون الدين الإسلامى بأن تشريعه فى هـذه الناحية غير صالح لكل زمان ومكان ، ويطالبون إلى أولى الأمر أن يسنوا قوانين تحفظ للناس حقوقهم .

كلام يدل على سخافة عقولهم ، إذ لو عقلوا تماماً ، لوجدوا أن التشريع الإسلامى تشريع كامل ، وهو صالح لكل زمان ومكان .

قال تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) .

وما الاختلال الحاصل إلا من عدم الرقابة على أولئك الأوصياء ، ونظار الأوقاف الظلمة الذين يستبيحون كل شئ فى سبيل الحصول على المال الكثير .

ولو كانت الرقابة عليهم كما يجب لسارت الأمور فى مجراها الطبيعى ، ولكانت الحقوق محفوظة لانصاب بسوء .

أيها الأوصياء ، ويانظار الأوقاف ، اتقوا الله ، اتقوا الله ، اتقوا الله .

(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) .

قال صلى الله عليه وسلم : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ ، قَالُوا : وَمَا هُنَّ يَارَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : الشِّرْكُ بِاللهِ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ »

(رواه البخارى)

مقارنة محسوسة بين الوصى الظالم والوصى العادل النزيه

الوصاية والأوصـــياء

شرع الله جل شأنه الحجر على السفهاء والمعتوهين ، و إقامة الأوصياء والقوّام على القصر عديمى الأهلية رحمةً لهم ، وحفظاً لأموالهم من الضياع والتبديد ، وهذه هى المجالس الحسبية .

والحكمة فى إقامة الوصى أن الرجل إذا توفى ، وترك ثروةً ومالاً لورثته ، وكان بينهم الصغير القاصر الذى لايحسن التصرف طمع فيه غيره ، خصوصاً أقرب الناس إليه من أهله ، كأعمامه الذين يظهرون العطف والحنان على القاصر ، وهم فى الحقيقة لصوص يريدون اغتيال أمواله وأكلها بالباطل ، و يقضون عليه قضاءً مبرماً .

فكان من الحكمة شرعاً أن يكون للقاصر وصى أمين ، شفيق قلبه ، ملؤه الرحمة والحنان ، مشهود له بالتقوى والاستقامة والعفة ، ونزاهة النفس .

وعلى الجملة يكون قائمًا مقام أبيه فى كل الوجوه ، و يمثله تمثيلاً تامًّا لو كان حيًّا .

وقد حث الله تعالى على حسن معاملة اليتيم فقال : (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) .

ومع الأسف نرى كثيراً من الأوصياء لايهتم بشئون القصر ، بل يعمل على أكل أموالهم بالباطل ، وتبديدها فى شهواته وملذاته .

ودليلنا على ذلك ماتراه يوميًّا فى المحاكم الأهلية والشرعية من القضايا المرفوعة ضد الأوصياء بمطالبتهم بحقوق القصر التى تكون قد ظهرت فى ذمتهم عند مراجعة حساباتهم بمعرفة خبراء المجالس الحسبية .

وفى الغالب يكون الحكم فيها ضدهم ، إما بعقوبة السجن متى قامت الأدلة على تبديدهم و إما إلزامهم مدنيًّا بدفع ما أخذوه من أموالهم ؛ ور بما يفلتون من القضاء بتلفيق الحسابات التى يقدمونها للمجالس الحسبية وللمحاكم ، فتضيع بذلك هذه الحقوق على القصر اليتامى ، ولكنهم لايفلتون من عقاب أكبر الحاكمين يوم الدين .

فالأوصياء الذين لم يؤدوا وظيفتهم بالأمانة و يأكلون أموال اليتامى ظلماً وعدواناً فإنهم يأكلون فى بطونهم النار فى الدنيا ، وفى الآخرة يكونون مع الفجار عملاً بقوله تعالى :

(إِنَّ الذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) .

أما الأوصياء الذين يقومون بوظيفتهم حق القيام ، ويراعون الذمة والأمانة والشرف فهم أرفع منزلة فى الدنيا ، ولهم عند الله يوم القيامة أجر كبير ، وثواب عظيم ، وقد بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة فقال : « أَنَا وَكَفِيلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هٰكَذَا » . (وأشار بالسبابة والتى تليها) .

وأمامنا الآن مثل محسوس يدلنا على نزاهة بعض الأوصياء ، وحسن معاملتهم للأيتام الفقراء (وقليل ماهم) نضربه للناس ليكون فيه القدوة الحسنة ، والعظة المستحسنة .

« أقام مجلس حسبى مصر فى سنة ١٩٢٨ حضرة الأستاذ السيد على فكرى الأمين الأول ورئيس المغيرين لدار الكتب المصرية سابقاً ، وصيًّا على أولاد ابنته القصر ، بعد أن عزل عمهم من الوصاية لسوء تصرفه ، ورفعت دعوى ضده وعدة قضايا للحصول على حقوقهم ، وكانت جميعها فى صالح القصر ، حتى بلغ مالهم طرفه ماينوف عن الألف جنيه ، ولكن مع الأسف لم يمكن الحصول على شىء منها لهروبه من دفع الحق و إفلاسه .

أما الأستاذ السيد على فكرى فقام بواجب الوصاية ، وتقدم للمجلس الحسبى بحسابه عن المدة من سنة ١٩٢٨ لغاية سنة ١٩٣٦ ؛ و بعد فحصه بمعرفة مكتب الخبراء الحسبيين ، قرر المجلس بجلسة ١٤ مارس سنة ١٩٣٨ اعتماد الحساب وقدره ٩٢٨ جنيها ، وقبول تبرعه للقصر بجميع هذا المبلغ ، وتقديم شكر المجلس على ما أبداه حضرته من الهمة والنشاط والمروءة والوفاء للقصر أحفاده ، وقد صدّقت وزارة الحقانية على هذا القرار .

فبلسان الحق والعدل نشكر حضرته على هذا العمل الخيرى الذى قام به ، ولم يسبقه فيه غيره ، ونسجله على صفحات جريدتنا لا للمدح والثناء عليه ، لأنه هو فى غنى عن ذلك و بعيد عن حب الفخر والتظاهر ، و إنما نذكره على سبيل العظة والذكرى والاعتبار .

و (لِمِثْلِ هٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ) فالسعيد من راقب فى اليتامى من يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وجعل نصب عينيه قول عالم السر والنجوى .

(وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتَّقُوا اللهَ فِي الضَّعِيفَيْنِ : المَرْأَةِ الأَرْمَلَةِ وَالصَّبِيِّ اليَتِيمِ » .

فيا أيها الأوصياء اتقوا الله في الأيتام ، وراعوا حقوقهم ، واهتموا بمصالحهم اهتمامكم بمصالح أولادكم ، وانظروا الفرق العظيم بين الوصي الخائن والوصي الأمين ، وتذكروا دائما قول الله تعالى : (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) .

واعملوا بما يكسبكم حسن الذكرى في الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة .

ملحوظة — سبق ذكر هذا الموضوع باختصار في ص ١١٧

(حسن قاسم مدير مجلة هدى الإسلام)

وقال الأستاذ محمود محمد عمار الشاعر المشهور (بشاعر الرعاع) قصيدة في الحث على حسن معاملة اليتامى ، نقتطف منها مايأتي :

الله قد كفل اليتيم : محمداً ... وسقاه دين الله في القرآن
واختار جبريل الأمين معلماً ... وحباه بالمعراج عزة شان
وكساه أعطاف النبوة بردةً ... عزت على (كسرى أنوشروان)
ثم اصطفى هذا اليتيم رسوله ... فسما اليتيم على ذوي التيجان
وأذاع بين الناس وحدانيةً ... لله ، لا لعبادة الأوثان
وبنى على الدين الحنيف رسالةً ... باتت منار العز والسلطان

نفحة اليتيم

يامعشر الإسلام ، هذي نفحة ... طلع اليتيم بها على الأكوان
لولاه بات العقل في ظلماته ... في الشرك ، في الإلحاد ، في الكفران
اقرأ عليه : (ألم يجدك يتيما) ... واشرح : (فآوى) : إنها الأبوان
أو إنها اللطف الخفيّ ، وإنها ... عند المصيبة : رحمة الرحمن

كافل اليتيم

جاء اليتيم سمـا ، فقال « محمد » وكلامه معنى من الفرقان

«فى الخلد مَن كفل اليتيم بصحبتى» مأوى اليتامى : جنـة الرضوان

الزوج الظالم والزوجة المظلومة

خطبة لفضيلة الواعظ الأستاذ محمد سليمان أستاذ الوعظ بمديرية جرجا

الحمد لله الواحد القهار ، الحمد لله العزيز الجبار ، سبحانه يمهل ولا يهمل ، وينتقم من الظلمة الأشرار ، ولا يضيع حق المظلوم ، وإن طالت الأيام والسنين .

أستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا هو ، جعل للزوجة حقًّا على زوجها ، وأوجب للابن حقًّا على أبيه ؛ وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أعظم النكير على من أخلّ بهذا الواجب وقصر فيه .

اللّهم صل وسلم على هذا النبى ، رافع لواء الحق ومعليه ، وارضَ اللّهم عن آله وصحابته والتابعين .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ، فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ، وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً)

عباد الله — تفهموا ماتلى عليكم من كتاب ربكم ، وطبقوه على ماتعلمون من أحوالكم ، واحذروا أن تكونوا ممن ندد الله فى هـذه الآية بهم ، واعلموا أن غضب الله منصب ، ولا بد على رؤوس المعرضين .

فى المسلمين أقوام ركنت إلى الظلم نفوسهم ، وخلت من الرحمة والعطف قلوبهم ، واتخذوا الشهوة البهيمية إلهاً لهم ، يفضلونها على كل شئ ، ولا يبالون أن يتخطوا فى سبيلها حدود الدين .

يتزوج أحدهم بالحرّة الكريمة من النساء ، ثم يقضى معها من الشهور والسنين ماشاء ؛

وقد تكون حياته معها حافلة بالسعادة والهناء ، حتى إذا ما أشبع شهوته منها هجرها ، و بحث بين النساء عن غيرها ، وتركها بعد زواجه الثانى تندب حظها ، وتقضى أيامها بين البكاء والحسرة والأنين .

يهجرها بلا ذنب ، وقد بذلت وسعها فى خدمتـه ، وأتعبت نفسها فى سبيل توفير راحته ، وأفنت شبابها ، وربما مالها فى سبيل إرضاء نهمته ، وحفظت عليه ماله وعرضه ، وأعفت عن الحرام عينه وفرجه ، ولـكنه نسى كل هذا لما ذبلت زهرة جمالها ، أو وقعت عينه على أحسن منها ، وجحد مالها عليه من الحق الثابت المتين .

يهجرها ، و إن كان له منها أولاد أهملهم وطرحهم ، و بخل عليهم بالنفقات ، وتهرّب بكل وسيلة منهم ، و إن ألحوا عليه بالمطالبة آذاهم ، وأفحش فى إيذائهم ، وأراهم من جبروته وعتوّه ماتقشعر من هول حكايته جلود المستمعين ، وتنفطر لرؤيته قلوب الناظرين .

فيالله ! ما أصلب هذا القلب المتحجر ، وما أبعده عن الشفقة والحنان !

وما ألأم هذه الخصال الدنيئة ، وما أحط هذا الإنسان ، وما أخزى هذا المفتون غداً بين يدى الله الديان ، وما أشد غفلته عن اليوم الذى ينتصف الله فيه من الظلمة للمظلومين!.

ألا قولوا لهذا الظالم المتجبر ؛ بل نبهوا هذا الجاهل الأحمق المتكبر ؛ بل أيقظوا هذا القلب القاسى المتحجر ؛ بل أنذروا هذا المغرور بحلم الله عليه وعلى أمثاله الظالمين ! أنذروه وقولوا له : إن للضعيف ربًّا يغار عليه ، و إن فى القيامة حَكَماً عدلاً ترجع الأمور إليه، و إن من فاته حقه فى الدنيا أدركه كاملاً بين يديه ، فاستمر على ما أنت عليه ، واسوف تعضّ بنان الندم إذا ماحشرت فى صفوف المجرمين .

أتستهين يامغرور بآلام هذه المسكينة الملازمة فى الليل والنهار ؟.

أتستهين بدعائها عليك فى الأسحار ؟ أتستهين بإضاعتك لهؤلاء الأطفال الصغار ؟ ور بك لابد وأن يعجل الله لك بعض العقوبة فى الدنيا قبل يوم الدين .

اتق الله وأنصف هذه المسكينة وأولادها من نفسك ، ووزع بين زوجتك أو زوجاتك جميع وقتك ، وساو بينهن فى نفقاتك ومودتك ، ولا تفضل إحداهن على الأخرى فى شئ فقد علمت أن وراء ذلك الإثم المبين ، والعذاب المهين .

اتق الله واحرص على هذه النصيحة ، و إياك والتفريط والإهمال ، واسع لتطييب خاطر الزوجة المظلومة ، تتغفر لك مامضى من الإساءة والإذلال ، ولا تحملنك على التمادى فى الظلم فوارق الحسن والجمال ، فإن مآل هذه كلها للفناء والاضمحلال ، والعاقبة بعد ذلك فى الآخرة للمتقين .

و إن غلبتك نفسك الشهوانية ، وعجزت عن العدل ، ففارق بالمعروف والإحسان ، وأوفها حقها الباقى على حسب الاتفاق الذى قد كان ، وأوف لأولادك منها حقهم بلا إجحاف ، وسر معهم فى حياتهم بروح العدل والإنصاف ، ولا تفضل عليهم إخوتهم من الأخرى ، فإن ذلك يستوجب المقت من رب العالمين .

روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمٰنِ ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ، الذِينَ يَعْدِلُونَ فِى حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا » .

وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ امْرَأَتَانِ فَلَمْ يَعْدِلْ بَيْنَهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ سَاقِطٌ » .

(مجلة الإسلام العدد ٢٧ من السنة الثانية)

مظالم الأزواج للزوجات

قصة واقعية ، ومأساة دينية

إن مظالم الأزواج للزوجات كثيرة ومتعددة ومنتشرة بين العائلات ولايخلو منها بيت ، ومن يطلع على سجلات المحاكم الشرعية و يحضر جلساتها يجد أن معظم القضايا التى تقدمت لها وقعت بين الأزواج والزوجات ، إما بطلب نفقة شرعية ، و إما بطلب الطلاق للضرر .

وهذا كله نتيجة سوء الأخلاق ، وسوء المعاملة ، وعدم الاتحاد ، وعدم الوفاق .

و إليكم قصة غريبة فى بابها ، بل هى مأساة فى موضوعها وهى :

إن إحدى الفتيات تزوجت من أحد المحامين (من أقارب والدتها) وكانت تظن فيه خيراً ، فبعد أن دخل بها ، وأقام معها نحو الشهرين تقريباً دب الخلاف بينهما ، وخرجت

الزوجة غاضبةً إلى منزل والدتها ، نادبةً سوء حظها ، باكيةً شاكيةً سوء معاملة زوجها لها ، وسوء معاملة والدته أيضاً ، كما هو الحاصل فى معظم العائلات .

وقد اتخذت المساعى الودية للصلح بينهما عدة مرات ، فلم يكتب الله لها النجاح .

وأخيراً اضطرت الزوجة لرفع أمرها للقضاء للفصل فى أمرها ، وطلبت أولاً النفقة الشرعية التى تستحقها عنده من تاريخ هجرها إلى يوم رفع الدعوى ، وقد حكمت لها المحكمة بمبلغ خمسة جنيهات شهرياً ، وأعلن الزوج بالحكم فلم يهتم به ولم يستأنفه ، ولم يدفع لها قرشاً واحداً حتى تجمد لها عنده مبلغ ١٨٠ جنيها عن الثلاث سنوات التى هجرها فيها .

ثم رفعت قضية التطليق للضرر ، وقضية الحبس للدفع تنفيذاً لحكم النفقة ، فما كان من هذا المحامى اللئيم الخبيث إلا أنه استعمل دهاءه ومكره وخبثه ، وأخذ أخته التى هى أكثر دهاء ومكراً وخبثاً منه ، وتوجها معاً إلى المحل المقيمة به ، وتكلما معها كلاماً ليناً معسولاً ، واتفقا مع صاحبة المحل على أن يدفع لها مبلغاً من المال لإغرائها على إخراجها منه نظير إقامتها عندها حتى تمكنا بهذه الحيلة الشيطانية الخبيثة من إخراجها وأخذها و إقامتها مع أخته لأنه متزوج من أخرى وله منها ثلاث أولاد ومقيم معها بمسكن آخر ، ولما كانت البنت ضعيفة الإرادة وضعيفة العقل ، فقد سلبها عقلها واستكتبها إقراراً بأنها تصالحت معه ، وتنازلت عن حقوقها الشرعية التى حكم لها بها وقدمه المحكمة ، و بذلك سلبها حقوقها ، وأضاع على أهلها أتعابهم ومصاريفهم التى صرفوها فى القضايا المذكورة ، وأفلت من حكم القضاء ، كل ذلك لاحبًّا فيها ، بل مكيدةً لها ولأهلها ، ونكايةً بهم ، وللتفريق بينها و بين أهلها ، ووقوع الشقاق بينهم و بينها .

هذه هى قصة هذا المحامى الذى تربى وتعلم، ونال شهادة الحقوق، لا للدفاع عن حقوق الناس الضعاف المظلومين ، بل لسلب حقوقهم وأكلها بالباطل ، ومثله فى هذه الحالة مثل النصابين المحتالين ، فإن كان حضرته يفرح و يفخر بهذا العمل الإجرامى فليفرح قليلاً وليبك (إن شاء الله) كثيراً فيما بعد ، فسوف يقف بين يدى أحكم الحاكمين المنتقم الجبار ، فى يوم يتعلق فيه المظلوم بالظالم و يلقى جزاءه ، و يحاسب حساباً عسيراً ، على هضم حقوق هذه الزوجة المسكينة المظلومة ، التى استسلمت له أخيراً ، وسلمت أمرها إلى الله ، فنعم المولى ونعم النصير ، و بئس للظالمين بدلاً .

وهل ترضى نقابة المحامين بأن يكون من بين أعضائها مثل هذا المحامى الظالم ، الخبيث النية ، السيء الطوية ، المشبع بروح الإجرام ، الذى ارتكب هذا العمل الشنيع ، الذى لا يصح صدوره من رجل مسلم شريف نزيه ، يخاف الله رب العالمين و يتقى غضبه وسخطه

قال تعالى : (وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) إلى آخر الآية .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وكفى بالله حسيباً ، وكفى بالله وكيلا .

١١ سبتمبر سنة ١٩٤٨ — على فكرى

ظلم الآباء للأبناء

خطبة لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد سليمان واعظ عام مركز جرجا

الحمد لله الحكم العدل ، رب الأرض والسماء ، الحمد لله الكفيل بنصرة المظلومين الضعفاء ، الحمد لله المنفرد يوم الفصل بالحكم والقضاء ، سبحانه وعظمته تعنو الجباه ، ولهيبته تذل العتاه ، من الإنس والجان .

أستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا هو ، يرحم من عباده الرحماء المقسطين ، و يصب جام نقمته وسخطه على رؤوس الظلمة البغاة المعتدين .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد الهداة و إمام المصلحين ، اللهم صل وسلم و بارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : (يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ، إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) .

عباد الله : تعالوا نتسلل إلى داخل بيوت المسلمين ، ونستطلع مافيها ، تعالوا بنا نشاهد مظاهر العسف والجبروت التى ملأت أرجاءها ونواحيها ، تعالوا بنا نختبر حال هؤلاء الأطفال الذين فارقتهم أمهم بالطلاق مرغمةً ، أو اخترمتها المنية ، واستودعتهم إياهم مغترَّة

واهمةً ، ظانةً أنه سيفي بوعده ، ويتقي الله فيهم ، ويوليهم ما يستحقونه من العطف والرعاية والحنان .

سنرى ولابدّ على محياهم مظاهر الشقاء والنصب ، وسنبصر على بطونهم الضامرة آثار الجوع والسغب ، وسنقرأ فى ملابسهم البالية القذرة نبأ ما يلقونه من النبذ والإهمال ، وسنطالع فى أجسامهم النحيلة أمارات الإعنات والإذلال ، وسنسمع من شكاتهم مايفتت الأكباد ، ويثير كوامن الأشجان .

سيقولون لنا : إن أباهم القاسى قد تلوّن بعد أمهم وتغير ، وتراجع عما التزمه وقت الوفاة وتقهقر ، ونسى أو تناسى كل حق لأبنائه ، وتحجرت عواطفه ، وصار قلبه أقسى وأصلب من الصفوان .

سيقولون لنا : إن أباهم قد تواطأ مع زوجه على النكاية بهم ، وأطاعها فى كل شئ ، وصدّق ماتلقيه من الوشايات فى حقهم ، واتخذ كلامها حجةً قاطعةً ، وقولاً فصلاً ، وأعرض عنهم ، ولم يقبل منهم فى الدفاع عن أنفسهم قولاً ، بل تمر لهم وأذاقهم من ألوان الاضطهاد مالا يتحمله إنسان .

سيقولون لنا : إن أبناء الزوجة الجديدة فى أرغد عيش وأرضاها ، يأكلون أطايب الأطعمة ، أو يلبسون من الثياب أثمنها وأغلاها ، بينما هم لا ينالون من الطعام إلا الفضلات ، ولا يجدون الكسوة الضرورية إلا بعد الإلحاح والتوسلات ، وكل ذلك على مرأى ومسمع من أبيهم اللئيم الخوّان .

هكذا سنرى من حالهم ، وهكذا سنسمع من أقوالهم ، ولعل حقيقة ما يلقون من الاضطهاد أفظع مما حكينا وأشنع ، وما أكثر وقوع هذه الفجائع فى هذه الأيام !

وما أكثر مايتخذ الآباء من ضعف الأبناء سبيلاً إلى التمادى فى الظلم والإجرام !

وما أكثر ما تتخذ الزوجات من نذالة الآباء ، معيناً على التغالى فى مظاهر الجبروت والطغيان !

ألا فاتقوا الله عباد الله ، واحذروا أن تكونوا من هؤلاء الظلمة البغاة الذين عبدوا شهواتهم ، وآثروا إرضاء الزوجة على إرضاء الله ، وقولوا لمن تعرفونه منهم :

الويل لك أيها الوحش الآدمى من ديان يوم الدين ، ولسوف تتبرأ منك هذه الزوجة التى أغضبت لأجلها رب العالمين ، ولسوف تعضّ بنان الندم عنـــد ما تلفح وجهك حرارة النيران .

ماذا يكون جوابك يامسكين إذا سألك الله عن هذه الرعية ، التى أسلم إليك أمورها ، وأكّد عليك فى شأنها الوصية ؟

وهل ترى رحماً أحق بالوصل من رحم الأبناء ؟ وهل جهلت أن للأبناء حقوقاً أكيدةً على الآباء ؟ صبراً فلسوف تلقى القصاص الرادع من الله القوى المتين .

قولوا له هذا ، ثم عظوا بعده زوجته الظالمة الباغية ، وذكروها بحوادث الليالى والأيام الخالية ، وسلوها هل ضمنت الحياة حتى يبلغ أولادها مبلغ الرجال ؟

وهل أمنت أن يسلط الله على أولادها من تذيقهم بعدها العذاب والنكال ؟

ألا فلتحسن إلى هؤلاء ليسخر الله لأولادها من يعاملهم بالعطف والإحسان .

عباد الله : اتقوا الله ، ولاتقطعوا أرحامكم بظلم أولادكم ، ولاتتركوهم فريسةً لزوجاتكم واتقوا بأن التبعة والجرم واقع معظمه عليكم ، وما كان لزوجة أن تعتدى على أبناء زوجها إلا إذا آنست منه نذالةً وضعفاً وتحسست فى تصرفاته رقاعةً وخُرقاً ، وإلا فإن يدها مشلولة عن إيذائهم ما أظهر أبوهم الحزم والرجولة ، ووطئ شهوته بالأقدام .

اتقوا الله وارحموا أولادكم يرحمكم الله ، وسوّوا بينهم فى العطف والرعاية تبوءوا برضاء الله ، وتوبوا إلى الله مما مضى يتقبل توبتكم ، ويقابلكم يوم القيامة بالصفح والغفران .

عن الحسن رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إِنَّ اللهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ ، حَفِظَ أَمْ ضَيَّعَ ، حَتَّى يَسْأَلَ الرَّجُلَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ » . (رواه ابن حبان)

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ » . (رواه أبوداود والنسائى)

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« سَاوُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ فَلَوْ كُنْتُ مُفَضِّلاً أَحَدًا لَفَضَّلْتُ النِّسَاءَ عَلَى الرِّجَالِ » . (رواه الطبرانى)

وعن على رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« رَحِمَ اللهُ وَالِدًا أَعَانَ وَلَدَهُ عَلَى بِرِّهِ » أى لم يحمله على العقوق بسوء عمله .

مجلة الإسلام العدد ٢٩ — السنة الثالثة (أبو الشيخ ابن حبان)

هذا ، ومن ظلم الآباء للأبناء أن يخص الأب أحد أبنائه ببعض أطيانه أو أمواله ، ويُحرم الآخرين ، فيكون ذلك سبباً لإشعال نار الحسد والعداوة والبغضاء فى نفوسهم ، وربما أدّى ذلك إلى قتل الأب أو الابن الممتاز بثروته عن إخوته .

والحوادث التى تقع يومياً وتنشر فى الجرائد أكبر دليل على ذلك ؛ فعلى الآباء مراعاة العدل والمساواة بين أبنائهم لدوام الصلة بينهم ، ولكيلا يتعدى أحد منهم على الآخر أو يجور عليه ، والله لايضيع أجر المحسنين .

مظالم الآباء للأبناء أيضا

ظلم الأب بتزويجه ابنته قبل استشارتها

من الحوادث المحزنة أن بعض الآباء يظلم ابنته بزواجها من شخص متقدم فى السن ، قبل استشارتها فى أمر زواجها منه ، مع أنه حق شرعى من حقوقها متى بلغت سن الرشد ، فتكون النتيجة : إما الفراق ، أو الطلاق ، أو الانتحار .

ومن تصفح أخبار الجرائد اليومية اتضح له وقوع هذه الحوادث بكثرة .

و إليك ملخص رواية (مظالم الآباء) الدالة على ذلك التى مثلت بدار الأوبرا وحضرها كثير من الأمراء والأدباء فى عهد الخديوى (عباس باشا الثانى) رحمه الله .

كان لرجل غنىّ ابنة توفيت والدتها ، فأقامت عند خالها (بعد زواج أبيها) فعُنى بها وربّاها مع أولاده ، وكان شديد الرغبة فى تزويجها بأحدهم ، وكانت هى أيضاً ترغب فى الاقتران به لاتفاقهما سنًّا وخلقاً وميلاً .

ولكن أبى والدها إلا أن يزوجها من وزير خطير ، طاعن فى السن ، طمعاً فى ثروته ، وأملاً فى أن ينال على يديه الرفعة والجاه ، واتفق معه على ذلك .

فلما حضر إلى منزل خالها ، وعرض عليها هذه الرغبة أظهرت عدم ارتياحها وخرجت من عنده باكيةً شاكيةً أمرها لخالها ، فأخذ خالها فى أن يقنع والدها بأنها محقة فى رفض هذا الزواج القهرى ، وأن الشرع الشريف يخوّل لها الحق فى أخذ رأيها ، واستشارتها قبل زواجها لأنها ليست قاصرة ، وأنها بالغة الرشد ، وأنه لايصح سلب حقها الشرعى فى اختيار بعلها .

وأخذ يشرح له فى أن الزواج القهرى الذى يبنى على غايات ، ولاينظر فيه إلى ائتلاف قلبى الزوجين هو زواج فاسد ، وما يبنى على الفاسد فهو فاسد ، ويضرب له الأمثال بالحوادث التى وقعت من هذا القبيل ، وكانت نتيجتها جلب العار ، وتخريب الديار ، قائلاً له :

كم من حسناء عريقة الحسب ، شريفة النسب ، جرّها ضغط أبويها وظلمهما إلى هاوية لاقرار لها ، وتجرّع والداها بعد اضطهادهما لها غصص الحزن والكرب ، وتندما على ذلك .

وبعد جدال طويل بين الخال والأب ، قال الخال له : لقد نصحتك وأنت وشأنك ، فإن التبعة ستقع عليك لا على غيرك ، ولا أبغى لك ولابنتك إلا الخير والنجاح ، والسعادة والهناء فى الحياة .

وانصرف الأب وهو مصرّ على تنفيذ رغبته ، وفى أثناء حديثهما ذهبت البنت إلى غرفتها وشكت أمرها إلى ابن خالها خطيبها ، واتفقا على أن يرسل خطاباً للوزير الغنى ، الذى يرغب والدها فى زواجها منه ، يحذره فيه من الإقدام على هذا الزواج القهرى قائلاً له :

مولاى الوزير الخطير

أقدم لمولاى فروض التحية والاحترام — وبعد ، فإنى لا أريد أن أخدع مولاى ، بل أرغب فى أن أطلعه على الحقيقة نقيةً لايشوبها كذب ولا تمويه .

ربيت أنا وابنة عمتى فى بيت واحد ، حتى نبتت بذرة الحب فى قلبينا ، وتأصلت جذورها ، فأصبحنا لاغنى لأحدنا عن الآخر ، ولذا تعاقدنا على الزواج من زمن طويل ، ووافق على ذلك والدى ووالدتى .

أما ما حصل من حضرة والدها ، إذ قرر زواجها من دولتكم ، فهو ليس بعلم الآنسة

ولا باختيارها ، و إنى لأحمد الله على أن الأمر لم يتم بعد ، إذ أنه ان يكون فيه لدولة الوزير سعادة ولاهناء ولا راحة ، لأنكما ما خلقتما لتكونا زوجين ، وكفى باختلاف السن والطبع والعواطف برهاناً .

ولى ثقة بأن دولة الوزير سيشكر لى صراحتى ، ومبادرتى باطلاعه على هـذه الحقيقة التى أريد بها إنقاذه من هذه الورطة التى يريد والدها أن يوقعه فيها .

فغاية رجائى إلى مولاى الوزير ، وقد عهـدته بعيد النظر ، راجح العقل ، شريف العواطف ، أن يتخلى عن زواجه منها ، ولا يرضخ لرغبة والدها ، و بذلك يحسن إلى نفسه و إليها و إلىّ ، والله الموفق لمـا فيه الخير والصواب ، والسلام عليكم ورحمة الله .

فلما قرأ الوزير هذا الخطاب ، ورأى فيه الحق والصواب ، طلب والدها وأطلعه عليه فلم ينته من مطالعته حتى أظلمت الدنيا فى وجهه ، واستشاط غضباً ، وقال :

و يل للسفهاء ! لقد أغواها الشيطان ، وأغراها ابن خالها الخائن الغاصب .

فأخذ الوزير يهدئ روعه و يعتب عليه قائلاً :

لقد أسأت إلىّ أيها الرجل ، و إلى نفسك ، حيث أفهمتنى كَذِباً أنك عرضت على ابنتك زواجى منها ، فرضيت بى بعلاً لها ، والآن وقد ظهر كذبك وغشك ، وأهنتنى إهانة لن أنساها أبد الدهر ، يحق لى أن ألومك ، وأقطع صلتى بك ؛ إن لابنتك حقاً فى طلبها ، وقد أحسنت لنفسها الاختيار ، فأسرع فى زواجها من ابن خالها ، لأنه على ما أرى من فحوى خطابه لائق بها كما هى لائقة به ، لأنهما تربيا فى بيئة واحـدة ، وامتزجا طبعاً وخلقاً ، لاسيما وأنهما فى سن واحدة .

أما أنا فى شيخوختى هذه لايليق بى التزوج بفتاة صغيرة ، لأنه ربما لاتحسن معاشرتى فأسىء إلى نفسى و إليها أيضاً ، وأكون سبباً فى ضياع مستقبلها وسمعتها .

فالحق الذى لامراء فيه ، أنها لائقة بابن خالها ، وهو بها أليق منى ، فليقترنا على بركة الله ، ولا نقف فى طريقهما . و إنى أدعو الله أن يبارك لهما فى قرانهما ، وأن يوفق بينهما ويؤيدهما فى حياتهما الزوجية بروح من عنده .

وكانت النتيجة أن تزوجت البنت فعلاً من ابن خالها ، وعاشت معه فى صفاء وهناء ، ورجع والدها الظالم إلى رشده ، واستغفر ربه ، وحمده على هذه النتيجة السارّة لهم جميعاً .

وإليك قصيدة لحضرة الأستاذ « محمود رمزى نظيم » فى نتيجة الزواج القهرى (بسبب ظلم الآباء للبنات[1]) .

شيخ له قصر وظلٌّ وارف ... وحديقة غنّا وكنز نضار
بلغ الثمانين التى مرّت به ... وكأنها ليل وبعض نهار
خطب ابنة فى سن أربع عشرة ... من والد ذى عزة ويسار
حسناء تلمح فى محاسن وجهها ... ضوء الهلال ونضرة الأزهار
زفت وكان العقد قبل زفافها ... أو بيعها للشيخ بالدينار
دخلت عليه وفى دخول جهنم ... خير لها من دار وحش ضار
والموت خلف مشيبه متعجل ... متخلل فى شعره متوار
ظنته والد زوجها أو جده ... وهو العريس أو الغنى الشارى
ابتاعها من والد ذى حيلة ... خداع كل مخادع مكار
ضحى بها متطلعاً لوراثة ... بعد المات عظيمة المقدار

⁂

مرت شهور والفتاة كئيبة ... تبكى وتطلب رحمة الغفار
طلبت أباها أن يجىء فزارها ... متظاهراً لقرينها بوقار
متفاخراً بديارة وقصوره ... والروض ذى الأعشاب والأشجار
وبعزة الرتب التى قد نالها ... من بعد بذل الوجه والدينار
فرأى الفتاة مريضةً وكأنها ... مأسورة فى سجنها بأسار
مرزوءة فى حسنها وشبابها ... مطروحة لعواطف الأقدار
قالت له لما رأته ودمعها ... ينهلّ مثل العارض المدرار
أدرك فتاة قد رميت شبابها ... فى شرٍّ هاوية وشرٍّ قرار
زوجتنى ممن سئمت لأجله ... هذى الحياة ورحب هذا الدار
أذبلت يا أبتى نضارة صورتى ... أشعلت فى كبدى لهيب النار
وجنيت يا أبتى ولست بمذنب ... إن الجهالة أكبر الأخطار

(١) انظر كتاب « سعادة الزوجين » الجزء الأول لعلى فكرى .

فبدا له سقم الفتاة وإنما ... بعض القلوب كجامد الأحجار
أنساه ميراث الغنى فتاته ... وأزال عنه بواعث الأكدار
فمضى وخلفها وصبر قلبها ... صبر المقيم على شفير هار
«طمع الفتى أصل المصائب كلها ... مفنى الحياة بسيفه البتار»
ضاقت بها الدنيا بواسع رحبها ... فتحيرت نهباً من الأنهار
وشكت إليه فضمها فتحجبت ... بمياهه عن سائر الأنظار
راحت شهيدة والد متعسف ... خوف العقوق لرحمة القهار
فعلى الشهيدة فى الخلود تحية ... وعلى المطامع لعنة الجبار

ظلم الابن لأبيه

هذه خلاصة قصيدة لحضرة صاحب السعادة السيد شكرى باشا ، ومنها يتبين ظلم ابنه إليه ، وما فعله معه أمام القضاء ، ونتيجة الحكم والطعن فى القضاة الذين أصدروا الحكم ضده

ولقد بُليت بظلم من ربيته ... وبظلم أحكام القضاة أحبُّته
غصب الظلوم المنزلين تعلقى ... وأضاع وقفهما علىّ بخدعته
وقد افترى كذباً علىّ ومسنى ... منه الأذى لما أحس بقوته
وأنا ضعيف أبتغى منه الوفا ... زمن الشيخوخة باتصال مبرّته
إذا صار ذا مال وجاه بعد ما ... كان المجرد عنهما فى نشأته
قد أنكر المعروف والسبب الذى ... شاء الإله به الوصول لرفعته
هو مستشار فى القضا ولذا قضوا ... ضدى بغير الحق حسب إرادته
إن القضاة العادلين تمنّعوا ... عن حكمهم بقضيتى كمشيئته
وقد ارتضى بالظلم من حكموا له ... كل يجازيه الإله بخطاته
مع أنهم قد عاهدوا المولى على ... أن يحكموا بالعدل حسب شريعته
طبقاً لدستور البلاد وأقسموا ... بالله عند رئيسهم فى حضرته
لكنهم نكثوا فكان جزاؤهم ... خزيًا وعاراً والعذاب بشدته

فرح السخيف بحكمهم ويلٌ له ... حقًّا سيصبح نادماً مع حسرته
إن لم يكن فى عاجل فلدى الجزا ... يوم العدالة والحساب بسرعته
إذ لا جدال بباطل فى يومه ... والحق يظهره الإله بقدرته
فالله ينطق كل جارحة بما ... عملت سوى المغفور فيه برحمته
فمساه يرجع بالمآب لربه ... ليفوز بالغفران خشية نقمته
إن الإله لذو انتقام ويلهم ... من بطشه فهو العزيز بقوته
ياويلهم تبعوا الهوى فى حكمهم ... لم يخشوا المولى وشدة سطوته
فالظلم فى هذا الزمان كأنه ... عمَّ العباد كما يرى من حالته
حتى على الآباء من أبنائهم ... من هجرهم دين الإله بشرعته
ورفعت شكوى للمليك لأنه ... حصن العدالة فى شئون رعيته
فهو الرئيس على الجميع وإنه ... عنهم لمسئول بحكم رياسته
فالله ولاه ويسأله غداً ... عن كل أمر واقع فى دولته
فبأمره التحقيق صار وإنما ... تحرير هذا جاء قبل نتيجته
فبقدر إمكانى أقوم بواجبى ... لظهور حق الله بغية نصرته
وإذا انتهى حكمه بأية حالة ... قبل انتهاء الطبع[1] جئت بقصته
فلنحذر الأولاد خشية شرهم ... عملاً بقول إلهنا فى آيته[2]
وبوصل برّ الوالدين فوائد ... فارجع إليه تفز بحسن إفادته

(المنظومة الشكرية ، الجزء الثالث ، ص ٢٥٨)

ثم نشر فى الجزء الرابع قصيدة أخرى بنتيجة الصلح الذى تم بينه وبين ابنه بعد اعترافه بحقوقه ، وندمه على ماحصل منه .

نذكر ملخصها تتمة للموضوع ، ولما فيها من الفائدة والعظة والاعتبار .

فاصبر أخى للابتلاء وشدته ... صبراً جميلاً لانتهاء مصيبته
فمن المحال دوام حال فاصبروا ... لقضاء رب العالمين وحكمته

(١) أى طبع الكتاب المنظومة الشكرية .
(٢) (يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) .

فالصبر من عزم الأمور مع التقى ... حقًّا كقول الله محكم آيته[1]

فلها افطنوا ولقول طه تهتدوا ... للحق بالتقوى وحسن هدايته

ولتتقوا شرّ الذى أحسنتمو ... أنتم إليه بغيّـه وعداوته

أولادنا قال الإله فمنهمو ... لكم عدوٌّ فاحذروه لفتنته[2]

ولئن صفحتم أو غفرتم إنه ... ربٌّ غفور واسع فى رحمتـه

فبرحمة من ربنا الرحمٰن قد ... كان ابتلائى مؤلمًا فى شدته

فقد ابتليت بظلم مَن ربيته ... ولدى أساء لنفسـه بغوايته

وأساء لى زمنًا طويلاً وافترى ... كذبًا على الله العليم بحالته

والله يشهد إننى دافعت عن ... حق وحق الله بغيـة نصرته

بالصبر والتقوى كما هو واضح ... فى ثالث الأجزاء بعض أدلته

لما رأى ولدى افتراه أساءه ... حالاً سعى فى الصلح قصد سلامته

وأتمه بعـداً بمحكمة القضا ... بعد اعتراف بالحقوق وزلّته

وبكائه متندمًا بما جرى ... بحضور بعض الناس رغم إرادته

فعليه قلبى قد أحسّ بطبعه ... ورجوت ربى أن يمنّ برحمته

وصفحت عنه بعدما كان القضا ... يقضى عليـه بحكمه وعدالته

حَكَم القضاة بصلحنا وتنازلى ... عن دعوتى أيضًا كرغبة حضرته

كتبت شروط الصلح حسب مراده ... وقبولها منى لنهو قضيتـه

إلى أن قال :

لى أسوة بمن ابتلوا من ربهم ... وبصبرهم نالوا الرضا بسعادته

حمداً لربى قد بُليت كما ابتلوا ... فعساه يلحقنى بهم فى جنته

والصبر للإنسان خير وسيلة ... لنوال ما يبغيه من أمنيته

والقصيدة طويلة نكتفى بما ذكرمنها ، ونرجو لسعادته طول العمر والبقاء، والسعادة والهناء.

---

(١) قال الله تعالى : (لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ، وإن تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور) .

(٢) (يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) الآية .

مظالم الأبناء للآباء أو عقوق الوالدين

الولد إذا كان مستقيماً مطيعاً لوالديه بارًّا بهما يقال له ولد بارّ ؛ وإذا كان شقيًّا مخالفاً لأوامرهما مسيئاً لهما يقال له ولد عاقّ لوالديه ظالم لهما ؛ وعقوق الوالدين من أفظع الجنايات والآثام ، وأقبح أنواع الجحود والكفران .

ولهذا قد أمر الله عز وجل بحسن معاملة الوالدين وبرّهما ، ونهى عن الإساءة إليهما وعقوقهما ، ومخاطبتهما بالغلظة والفظاظة ، فقال تعالى :

(وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لاَ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ، وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) .

فأمر جل شأنه بتوحيده وعبادته ، وبالغ فى التوصية ببرّ الوالدين وعدم عقوقهما ، مبالغةً تقشعرّ لها جلود الأبناء العاقين ، فقال تعالى : (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا) أى إن كبرا وهما فى كنفك وكفالتك ، فلايصح أن تقول لهما أىّ قول يكدر خاطرهما ، أو يجلب غضبهما ، حتى التأفف الذى هو أدنى درجات القول السيئ ، مما لايصح أن يصدر منك نحوهما إذا حصل منهما ما لايلائمك ويعجبك ، بل الواجب عليك بدل ذلك أن تعاملهما بالحسنى ، وتقول لهما القول اللين ، الطيب الحسن ، مع الأدب والتوقير والاحترام ، والتعظيم والاحتشام ، وأن تخفض لهما جناح الذل ، أى تتواضع وتتذلل لهما بجميع أنواع التذلل والمسكنة لأنهما صارا فى حالة تدعوك للرفق بهما ، والعطف عليهما .

ثم أوصى بطلب الدعاء لهما بالرحمة والغفران فقال : (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) أى ارحمهما رحمةً مثل رحمتهما وتربيتهما إياى ولأنا صغير محتاج إليهما .

ولما كان كثير من الأبناء ظلموا آباءهم وعذبوهم وأخذوا أموالهم وأساءوا معاملتهم ، حتى صاروا أعداء لهم ، حذرنا الله من هؤلاء الأبناء ، فقال تعالى :

(يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلاَدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ،

وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) .

وقد انتقم الله منهم بأن أطال أعمارهم ، وأفقرهم وأذلَّهم ، وسلط عليهم أبناءهم ليمثلوا بهم أشنع تمثيل ، ويذيقوهم ما أذاقوا لآبائهم ، وكانوا مثلاً سيئاً بين عشيرتهم وإخوانهم وباءوا بغضب من الله ، وبدت عليهم سوء الخاتمة ، ولم يبارك الله لهم فى أولادهم .

وهذا من ضروب الانتقام من الله المنتقم الجبار ، القاهر فوق عباده .

ألا فليعلم كل امرئ أن عقوق الوالدين من الكبائر التى حرمها الله تعالى ، كما قال صلى الله عليه وسلم :

١ — « الْكَبَائِرُ : الشِّرْكُ بِاللهِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ » .

وفى حديث آخر عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

٢ — « كُلُّ الذُّنُوبِ يُؤَخِّرُ اللهُ مِنْهَا مَاشَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلاَّ عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ ، فَإِنَّ اللهَ يُعَجِّلُهُ لِصَاحِبِهِ فِى الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ » فيدرك الولد العاق نتيجة ذلك فى حياته بالعقاب الشديد .

٣ — وذكر أبو الليث السمرقندى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْ عَلِمَ اللهُ شَيْئاً مِنَ الْعُقُوقِ أَدْنَى مِنْ أُفٍّ لَنَهَى عَنْ ذَلِكَ ، فَلْيَعْمَلِ الْعَاقُّ مَاشَاءَ أَنْ يَعْمَلَ فَلَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ ، وَلْيَعْمَلِ الْبَارُّ مَاشَاءَ أَنْ يَعْمَلَ فَلَنْ يَدْخُلَ النَّارَ » .

وفى حديث آخر عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

٤ — « أَرْبَعٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ لَايُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ ، وَلَا يُذِيقَهُمْ نَعِيمَهَا : مُدْمِنُ الْخَمْرِ ، وَآكِلُ الرِّبَا ، وَآكِلُ مَالِ الْيَتِيمِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَالْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ » .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

٥ — « مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ ، قَالُوا يَارسولَ اللهِ ، وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟ قالَ : نَعَمْ ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ » .

(رواه البخارى ومسلم وأبوداود والترمذى)

وفى رواية للبخارى ومسلم : « إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟ قَالَ : يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ » .

والأحاديث فى ذلك كثيرة نكتفى بما ذكر منها

ويستخلص منها أن أضرار عصيان الوالدين وعقوقهما ، كما بينها النبى صلى الله عليه وسلم فى أحاديثه هى :

أولا : أنه حرّم الله عقوق الوالدين وكره ذلك .

ثانياً : أنه من الكبائر المهلكة الموصلة إلى الجحيم .

ثالثاً : أنه يمنع صاحبه من الدخول فى الجنة ، والتمتع بنعيمها ، والتعطر بريحها ، وشم شذاها .

رابعاً : ينال العاق جزاءه فى الدنيا قبل مماته من تحقير وفقر مدقع ، وأمراض وسخط أهله ، وإبعاده فى عقاب أسرع .

ولنذكر بعض أمثلة تطبيقية على ماذكر فى عقوق الوالدين ، نقلاً عن كتاب : « السمير الواعظ » الجزء الثانى .

١ — روى البيهقى عن جابر قال : « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فقالَ يا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ أَبِي أَخَذَ مَالِي ، فَقَالَ النَّبِي صلى الله عليه وسلم : فَاذْهَبْ فَأْتِنِي بِأَبِيكَ ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : إِنَّ اللهَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ : إِذَا جَاءَكَ الشَّيْخُ فَسَلْهُ عَنْ شَيْءٍ قَالَهُ فِي نَفْسِهِ مَا سَمِعَتْهُ أُذُنَاهُ فَلَمَّا جَاءَ الشَّيْخُ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : مَا بَالُ ابْنِكَ يَشْكُوكَ ؟ تُرِيدُ أَنْ تَأْخُذَ مَالَهُ ؟ قَالَ : سَلْهُ يَارَسُولَ اللهِ ، هَلْ أَنْفَقْتُهُ إِلَّا عَلَى عَمَّاتِهِ وَخَالَاتِهِ ، أَوْ عَلَى نَفْسِي ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : إِيهٍ ، دَعْنَا مِنْ هٰذَا ، أَخْبِرْنِي عَنْ شَيْءٍ قُلْتَهُ فِي نَفْسِكَ مَا سَمِعَتْهُ أُذُنَاكَ ؟ فَقَالَ الشَّيْخُ : وَاللهِ يَارَسُولَ اللهِ مَا يَزَالُ اللهُ تَعَالَى يَزِيدُنَا بِكَ يَقِيناً لَقَدْ قُلْتُ فِي نَفْسِي شَيْئًا مَا سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ فَقَالَ : قُلْ وَأَنَا أَسْمَعُ فَقَالَ :

غذوتك مولوداً ومنتـك يافعاً ... تعل[1] بما أجنى[2] إليك وتنهل[3]
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت ... لسقمك إلا ساهراً أتململ
كأنى أنا المطروق دونك بالذى ... طرقت به دونى فعينىَ تهمل
تخاف الردى نفسى عليك وإنها ... لتعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التى ... إليها مدى ما كنت فيها أؤمل
جعلت جزائى غلظةً وفظاظةً ... كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترع حق أبوّتى ... فعلت كما الجار المجاور يفعل
فأوليتنى حق الجوار ولم تكن ... علىّ بمالى دون مالك تبخل

قال جابر : فحينئذ أخذ النبى صلى الله عليه وسلم بتلابيب ابنه وقال : « أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ » .

٢ — وعن أنس رضى الله عنه : « أن شابًّا كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى (علقمة) ، مرض واشتد مرضه ، فقيل له : قل لا إله إلا الله ، فلم ينطق لسانه ، فأخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : هَلْ لَهُ أَبَوَانِ ؟ فقيل : مات أبوه وله أم كبيرة ، فأرسل إليها الرسول فجاءت ، فسألها عن حال ابنها ، فقالت : كان يصلى كذا وكذا ، وكان يصوم كذا وكذا ، وكان يتصدق بجملة دراهم ماندرى وزنها ولا عددها . قال : فَمَا حَالُكِ وَحَالُهُ ؟ قالت : أنا عليه ساخطة واجدة . قال لها : وَلِمَ ذَلِكِ ؟ قالت : كان يؤثر علىّ امرأته ويطيعها فى الأشياء . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : سَخَطُ أُمِّهِ حَجَبَ لِسَانَهُ عَنْ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، ثم قال لبلال : انْطَلِقْ وَاجْمَعْ حَطَباً كَثِيرًا حَتَّى نَحْرِقَهُ بِالنَّارِ ، فقالت : يارسول الله ، ابنى وثمرة فؤادى تحرقه بالنار بين يدىّ ؟ وكيف يحتمل قلبى ذلك؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: إِنْ كَانَ يَسُرُّكِ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُ فَارْضَىْ عَنْهُ ، فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، لاَ يَنْتَفِعُ بِصَلاَتِهِ وَلاَ بِصَدَقَتِهِ وَلاَ بِصَوْمِهِ مَادُمْتِ عَلَيْهِ سَاخِطَةً ، فرفعت يدها وقالت : أشهد الله تعالى وأنت يا رسول الله ومن حضر أنى قد

---

(١) علّ : شرب مرة بعد مرة . (٢) أجنى : أجلبه وأحضره إليك .
(٣) نهل : شرب المرة الأولى حتى روى . والمراد : تتغذى بما أجنيه إليك من المأكول والمشروب بقدر ماتحتاج وتشتهى .

وصيت عنه . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : انْطَلِقْ يَا بِلَالُ فَانْظُرْ هَلْ يَسْتَطِيعُ عَلْقَمَةُ أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؟ فَلَعَلَّ أُمَّهُ تَكَلَّمَتْ بِمَا لَيْسَ فِي قَلْبِهَا حَيَاءً مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فانطلق بلال ، فلما انتهى إلى الباب سمع علقمة يقول : لا إله إلا الله ، ومات من يومه » .

فى هذه الإشارة على أن رضا الربِّ من رضا الأم والأبِّ ، ولقد صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديثه : « الْجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الْأُمَّهَاتِ » .

٣ — حدثنا التاريخ أن رجلاً كبر عنده أبوه ، فكره أن يأكل معه على مائدة واحدة وعزله فى الأكل ، وصار يأكل هو وأولاده الصغار ، والأب فى معزل عنهم منفرداً يأكل من إناء خاص أعدّ له .

واتفق أن انكسر ذلك الإناء ، فعنفه ذلك الابن العاقّ على ذلك تعنيفاً شديداً ، وعمل له إناء من الخشب لكيلا ينكسر ، وفى أول مرة كان يأكل منه وهو فى معزل ، والصغار أولاد الابن يأكلون معه ، إذا بأحدهم يقول لأبيه : حسناً يا والدى فعلت ، فسنحتفظ لك بهذا الإناء حتى تكبر وتكون مثل جدى ، فتأكل فيه منفرداً عنا ، كما يأكل جدى الآن .

فكانت هذه عظة بالغة لهذا الابن العاقّ ، الذى قام على الفور يقبل يد والده و يسأله الصفح والمغفرة ، ومن بعدها لم يعد إلى ما كان عليه .

وفى هذه الإشارة إلى أن مايفعل بالآباء ، يقتص به من الأبناء ، فكما تدين تدان ، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان .

٤ — وقال الأصمعى : حدثنى رجل من الأعراب قال : خرجت من الحى أطلب أعقّ الناس وأبرّ الناس ، فكنت أطوف بالأحياء حتى انتهيت إلى شيخ فى عنقه حبل يستقى بدلو فى الهاجرة والحر الشديد ، وخلفه شاب فى يده رشاء من جلد ملوىّ يضربه به قد شق ظهره بهذا الحبل . فقلت : أما تتقى الله فى هذا الشيخ الضعيف ؟ أما يكفيه ماهو فيه من مدّ هذا الحبل حتى تضربه ؟ قال : إنه مع هذا أبى ، قلت : فلا جزاك الله خيراً ، قال : اسكت فهكذا كان يصنع هو بأبيه ، وكذا كان يصنع أبوه بجده ، فقلت :

هذا أعق الناس ، ثم جُلت أيضاً حتى انتهيت إلى شاب فى عنقه زنبيل فيه شيخ ، كأنه فرخ ، فيضعه بين يديه فى كل ساعة فيزقه كما يزق الفرخ ، فقلت له : ماهذا ؟ فقال : أبى وقد كبر فأنا أكفله ، قلت : فهذا أبرّ الناس ، فرجعت وقد رأيت أبرّهم وأعقهم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « بِرُّوا آبَاءَكُمْ تَبِرُّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ » .

ظلم الأمم سبب هلاكها وفنائها

فى القرآن الكريم آيات كثيرة تدل صراحةً على أن أسباب هلاك القرى والأمم هى الظلم والطغيان ، وعدم اتباع أوامر الله الواحد الديان ، نذكر منها مايأتى مع تفسيرها :

١ — (وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا)

سورة الكهف آية ٥٩

يقول الله تعالى ذكره: (وتلك القرى) أى عاد وثمود وأصحاب الأيكة أهلكنا أهلها لما ظلموا ، فكفروا بالله وآياته (وجعلنا لمهلكهم موعداً) يعنى ميقاتاً وأجلاً ، حينما بلغوه جاءهم عذابنا فأهلكناهم به .

٢ — (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا) سورة الإسراء آية ١٦

يقول الله تعالى ذكره : وإذا أردنا أن نهلك قرية كثّرنا متنعميها فتسكعوا فى ضلالتهم واستهتروا فى الجرى وراء أهوائهم ، فوجبت عليها كلمة ربك فدمرها تدميراً .

حقًّا إن أمراض النفوس لأشد فتكاً بالشعوب ، وأسرع إبادة للأمم من أمراض الأجسام ، وإليك الدليل الحديث المحسوس ، ماقاله وزير فرنسا المنكوبة فى الحرب الثانية الطاحنة ، قال ضمن خطبة له :

« إن محنة فرنسا جاءت من الانحلال الخلقى ، والانهيار الذى سببته نشوة النصر ، فاندفعنا فى اللهو والمرح ، وطغى ذلك على روح التضحية ، وأراد كل أن يأخذ أكثر مما يعطى .

نعم أخلاق الأمم مقياس كفاءتها ، وعنوان شهرتها ، وقوة سلطانها ونصرها ، وإن

المعاصى تزيل النعم ، وتزيد النقم ، وتميت الهمم ، وتفسد الذمم ، وتضعف العاطفة الوطنية ، وتميت النخوة والشهامة والحميّة ، وتعصف بروح الجندية ، وتصرف الشعب عن الإنتاج والعمل ، إلى اللهو والكسل ، وهذا هو عين الضياع والفشل ».

٣ — (فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ) سورة الحج آية ٤٥

يقول الله تعالى ذكره : وكم من قرية أهلكناها وهى ظالمة ، فهى ساقطة حيطانها على سقوفها ، وكم بئر ملأى بالماء معطلة لهلاك أهلها ، وكم قصر مشيد خال من سكانه .

٤ — (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ)
سورة الحج آية ٤٨

يقول الله تعالى ذكره : وكم من قرية أمهلتها وهى ظالمة لترجع إلى الصواب ثم أخذتها بعد اليأس من صلاحها ، و إليَّ المرجع والمصير .

٥ — (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)
سورة النمل آية ٥٢

يقول الله تعالى : كان فى المدينة تسعة رجال من أهل الفساد تحالفوا على مباغتة (صالح عليه السلام) وقتله هو وأهله ، وأن يقولوا لولىّ دمه : ماحضرنا هلاكهم فضلاً عن ارتكابه ، ومكروا مكرهم ، ورد الله كيدهم فى نحرهم وهم لايشعرون .

فكان عاقبة مكرهم أن محقهم الله أجمعين ، فتلك بيوتهم مهدمة بما ظلموا ، وفى ذلك عبرة لقوم يعلمون فيتعظون .

٦ — (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ، فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ . وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ ، فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ)
سورة النحل آية ١١٢، ١١٣

وضرب الله مثلاً : قريةً كانت آمنةً مطمئنةً ، لايشوب صفاء أهلها كدر ، يأتيها

رزقها موسعاً من جميع نواحيها ، فكفرت بنعم الله عليها ، فأذاقها الله ألم الجوع والخوف بما كانوا يعملون .

ولقد جاءهم رسول من جنسهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون .

٧ — (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ) سورة القصص آية ٥٨

وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ، فانظر إلى مساكنهم قد خلت منهم ، ولم يسكنها من بعدهم إلا المارة يأتون إليها زمناً يسيراً ثم يهجرونها وكنا نحن وارثيها .

٨ — (وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ) سورة القصص آية ٥٩

وما كان ربك ليهلك القرى حتى يبعث فى أكبرها رسولاً يتلو عليهم آياتنا وما كنا لنهلك القرى إلا وأهلها قد استحقوا الهلاك بظلمهم .

٩ — (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ . مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ) سورة الحجر آية ٤، ٥

وما أهلكنا من أمة إلا ولها أجل محدود ، مقدر فى اللوح المحفوظ لاتتقدم أمة أجلها ولا تتأخر عنه .

١٠ — (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) سورة يونس آية ١٣

ولقد أهلكنا الأمم السابقة بسبب ظلمهم حيث أرسلنا إليهم رسلنا بالبينات، فلم يؤمنوا وكذلك نجزى القوم المجرمين .

١١ — (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ . مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) سورة هود آية ٨٢ ، ٨٣

لما جاء عذابنا قلبنا مدينتهم بهم ، وجعلنا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليهم حجارة من طين متحجر منتظمة متتابعة ومعلمة من خزائن ربك ، وهى ليست من الظالمين ببعيد .

١٢ — (وَكَذٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ)
سورة هود آية ١٠٢

بعد أن ذكر الله أخبار القرى التى أبيدت وأهلكت بسبب ظلمهم باتباع الأضاليل ولم تنفعهم آلهتهم بشئ لما جاءهم عذاب الله قال : ومثل ذلك الأخذ ، أخذ ربك إذا انتقم من القرى وهى ظالمة له، انتقاماً أليماً شديداً .

١٣ — (وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ)
سورة الأنبياء آية ١١

وكم أهلكنا من قرية كانت ظالمةً ، وأوجدنا بعدها قوماً آخرين .

١٤ — (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ . ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ)
سورة الشعراء آية ٢٠٨، ٢٠٩

إننا لم نهلك قريةً إلا بعد أن نبعث فيها منذرين يذكرون لأهلها عاقبة تماديهم فى الغىّ والضلال ، وما كنا ظالمين .

١٥ — (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) سورة هود آية ١١٧

وما كان ربك ليهلك أهل القرى ظلماً وهم مصلحون ، أى يعملون الصالحات ، ويتمسكون بالفضائل .

١٦ — (قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ) سورة الأنعام آية ٤٧

قل لهم يا محمد : أرأيتكم لو أتاكم عذاب الله فجأةً بلامقدمات ، أوجهرةً تتقدمه أمارات هل يهلك إلا القوم الظالمون ؟

وفى هذا القدر كفاية ، والسلام على من اتبع الهدى .

مظالم الدولة الرومانية[1] للأمة المصرية

إن مصر شهدت فى عصر الدولة الرومانية من المظالم مالم تره فى أى عصر من عصورها ، ولاسيما فيما يختص بالاضطهادات لأجل الدين ، فإن المصريين أخذوا بالديانة المسيحية فى منتصف القرن الأول للميلاد بدعوة (مرقس) صاحب الإنجيل فإنه وفد إلى مصر فى منتصف القرن الأول ، ونشر التعاليم المسيحية فقبلها المصريون ، وأول كنيسة شيدت فى هذه البلاد كانت فى الاسكندرية سنة ٦٧ م فلم يرق هذا الدين فى أعين الرومانيين فى أوروبا ، فعارضوه ومنعوا انتشاره ، وأخذوا متبعيه بالقسوة المفرطة ، فصاروا يحرقونهم أو يعذبونهم حتى يموتوا تعذيباً ، وأوعزوا إلى نوابهم فى مصر أن يجروا على هذه الطريقة ، فجروا عليها فى معاملة (القبط) ، فأزهقوا منهم أرواحاً لاتحصى .

وظل الحال على هذا المنوال إلى أن تولى الأمبراطور الرومانى (ديقلاديانوس) من سنة ٢٨٢ إلى سنة ٣٠٣ م فعزم على إبادة المسيحيين ، فأعمل فيهم السيف فى أوربا ، وأمر نائبه على مصر أن يحذو حذوه فى هذه البلاد ، ثم حضر هو نفسه إلى هذه البلاد ، وأعمل فى أهلها الحديد والنار حتى قتل منهم مايزيد عن الثمانمائة ألف نسمة ، وهى من الاضطهادات الكبرى التى قلت أمثالها فى تاريخ البشر ، ولم يكن الحكم الرومانى من الوجهة المدنية على أسلوب يحبب أهل هذه البلاد فيهم ، فقد كان الظلم سنة تلك الحكومة حتى ضج الناس ولم يجدوا لهم محيصاً غير الاستسلام ، فصبروا مكرهين إلى سنة ٦٤٠ م حتى أتاهم العرب مخلصين لهم من هذا العذاب المهين .

فانظروا أيها المصريون المسيحيون إلى سوء معاملة الرومانيين لكم ، واضطهادهم لدينكم واحمدوا الله الذى خلصكم من أيديهم بفضل العرب والإسلام .

(عن دائرة المعارف لفريد بك وجدى)

---

(١) كان مقر الدولة الرومانية بلاد إيطاليا الحالية .

المثل الأعلى فى الظلم (نيرون)

هو أمبراطور رومانى تولى الملك وهو ابن خمس عشرة سنة ، فأظهر فى أول أمره الوداعة ولين الجانب ، ثم تغيرت أحواله ، وتبدلت أطواره ، فأخذ فى سلوك سبيل الجور والعسف وأوغل فى رعيته ظلماً وجوراً ، وارتكب فى تسكعه فى هذا السبيل أموراً لم يستجمعها ظالم قاهر من قبله .

فمن مظالمه أنه عدا على معلمه الفيلسوف (سينيك) المشهور فقتله ، وقتل أمه التى كانت سبباً فى توليه الملك وإجلاسه على العرش ، وقتل امرأته وأخاه ، وقتل (بولسى ، و بطرس) الرسولين المسيحيين المشهورين ، وقتل مرقس صاحب الإنجيل بالإسكندرية ، وكان يكره أن ينتشر الدين المسيحى فى رومية ، فبلغه أن بعضاً من أهلها صبأ إلى هذه الديانة (أى خرج من دينه إلى دين آخر) فأمر بإضرام النار فى قسم منها ، وجلس على سطح قصره يعزف بالألحان ، و يتلهى بالنظر إلى النار ، وهى تلتهم بألسنتها الرجال والنساء والأطفال ، ثم نهض فأتهم المسيحيين بإحراقها ، وأخذ فى التفنن فى اضطهادهم ، حتى لم يدع وجهاً من وجوه القسوة إلا ارتكبها فيهم ، (حتى صار يضرب به المثل فى الظلم والجور) .

فلما طال على الناس أمره اجتمعت كلمة رجال المملكة على عزله فعزلوه ، وحكموا عليه بالقتل ضرباً بالعصى ، فأبت نفسه أن يموت تعذيباً فقتل نفسه بيده (أى انتحر) .

وقيل : أوعز إلى كاتم أسراره بقتله فقتله ، وقيل : هجم عليه الجنود فقطعوه بسيوفهم قطعاً قطعاً ، حتى لم يبق له عضو يعرف ، ثم رموا بأشلائه إلى الكلاب .

ولد سنة ٣٧ ميلادية ، وتولى الملك سنة ٥٤ وقتل سنة (٦٨) م .

(دائرة معارف القرن العشرين لفريد بك وجدى)

وهذا جزاء ظلمه وعدوانه كما قال تعالى : (بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً) .

وجاء فى الحكم : * وما من ظالم إلا سيبلى بأظلم *

نسأله تعالى أن يجنبنا الظلم ، وأن يكفينا شر الظالمين .

ظلم أحمد بن طولون

حكى أنه لما ظلم أحمد بن طولون استغاث الناس من ظلمه ، وتوجهوا إلى سيدة من الصالحات ، قيل إنها السيدة (نفيسة رضى الله عنها) وشكوا ذلك إليها . فقالت لهم : متى يركب ؟ قالوا : فى غد .

فكتبت رقعة ووقفت فى طريقه وقالت : يا أحمد بن طولون .

فلما رآها عرفها ، فنزل عن فرسه ، وأخذ منها الرقعة وقرأها فإذا فيها :

« ملكتم فأسرتم ، وقدرتم فقهرتم ، وخُولتم (أى أعطيتم نعماً وخدماً) ففسقتم ، وردت إليكم الأرزاق فقطعتم .

هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة ، لاسيما من قلوب أوجعتموها ، وأكباد أجمتموها ، وأجساد عريتموها ، اعملوا ماشئتم فإنا صابرون ، وجوروا فإنا بالله مستجيرون ، واظلموا فإنا لله متظلمون (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)» .

فعدل لوقته .

(من كتاب نور الأبصار ص ١٨٨)

ولقد صدق رسول الله فى حديثه : « اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ » وسبق شرح هذا الحديث .

ظلم الدول الكبيرة للدول الصغيرة

لاستعبادها واستنفاد ثروتها وأموالها

١ — ظلم انجلترا لمصر

قضت إرادة الله — ولا رادّ لقضائه — وقضى سوء الحظ أن تقع مصر (مهد الحضارة والمدنية) فى أيدى الانجليز منذ سنة ١٨٨٢ ، وأن تستمر فى قبضتهم ، وتحت نفوذهم وسيطرتهم أكثر من نصف قرن (٦٥ سنة) حتى ذاقت مرارة الصبر والضجر ، ورأت ألوان العذاب والكدر .

ولما أراد الله أن تنهض من كبوتها ، وأن تفيق من غفلتها ، هيأ لها الأسباب للدفاع عن نفسها وحريتها ، ورفع نير الظلم عنها ، فرفعت قضيتها أخيراً أمام مجلس الأمن المنتخب من كبار الدول من هيئة الأمم المتحدة ، الجامعة لكل الدول بما فيها مصر طبقاً لميثاق الهيئة الذى ينص على المساواة والاتحاد ، واحترام الحقوق ، وإزالة الخلاف والنزاع بين الدول ، حفظاً للسلم العام .

رفعت مصر هذه القضية فى يوليه سنة ١٩٤٧ ، مؤيدةً بالحجج والمستندات ، مطالبةً بحقوقها الشرعية وهى (جلاء الجنود الانجليزية جلاءً ناجزاً بلا قيد ولا شرط) ، وأجمع الشعب المصرى على تأييد هذه المطالب ، ووقف وراءه دول العرب جميعها مؤيدةً أيضاً لهذه المطالب والبلاد الإسلامية ، وكل شعب يطالب بحقه فى الحرية والحياة .

وأخذت القضية أدواراً كثيرة فى شهرى يوليه وأغسطس من سنة ١٩٤٧ فى مناقشات ومعارضات واقتراحات ، وتقديم مذكرات ، ومع هذا كله لم يستطع مجلس الأمن الفصل فى هذه القضية ، ولا أن يبدى قراراً حاسماً بشأنها ، مع عدالة مطالبها ، وموافقة بعض الدول عليها وهى : (روسيا ، وبولندا ، وسوريا ، وأمريكا) مع بعض التحفظ مجاملةً لانجلترا ، بل أجلتها إلى أجل غير مسمى ، مع بقاء قيدها فى جدول الأعمال ، رغماً عن محاولة انجلترا شطب القضية ، مما هو منشور ومذكور بالتفصيل فى الجرائد العربية والإفرنجية ، ولا محل هنا لتكرارها خوف التطويل والملل .

ولم يراع مجلس الأمن العهد والميثاق الذى من أجله تكوّن وتشكل ، فكان فى قراره ظالماً غشوماً ، وفقد بذلك قوته وسلطانه وسمعته .

فإذا كانت مصر لم تستطع أن تنال السبعة أصوات فى مجلس الأمن المقررة لكسب قضيتها ، فيكفيها فخراً وشرفاً أن نالت أصوات الملايين من العالم ، وأن العالم أجمع أصدر حكمه لها بأنها صاحبة الحق المهضوم ، والشعب المظلوم ؛ وهذا يعتبر فى نظر رجال العدالة فوز أدبى مما يقوى عزيمتها و إرادتها فى الاستمرار على النضال والمكافحة حتى تتحرر من آخر جندى إنجليزى فى بلادها ، وتنال حريةً كاملةً ، واستقلالاً تامًّا بالمعنى الحقيقى ، فى ظل صاحب العرش : « الملك فاروق الأول ملك مصر والسودان » ، حفظه الله ، وأيد ملكه ، آمين .

شكوى مصر من الاحتلال

(لحضرة صاحب العزة المرحوم حافظ بك إبراهيم الشاعر الأديب)

نشرت فى أول يناير سنة ١٩٠٧ م وطبعت بديوانه بالجزء الأول ص ٢٥

لقد كان فينا الظلم فوضى فهذّبت ... حواشيه حتى بات ظلماً منظما[١]

تمنّ علينا اليوم أن أخصب الثرى ... وأن أصبح المصرى حرًّا منعماً[٢]

أعدَّ عهد (إسماعيل) جَلداً وسخرةً ... فإنى رأيت المنَّ أنكى وآلما[٣]

عملتم على عزِّ الجماد وذُلِّنا ... فأغليتم طيناً وأرخصتم دما

إذا أخصبت أرض وأجدب أهلها ... فلا أطلعت نبتاً ولا جادها السَّما[٤]

نهشُّ إلى الدينار حتى إذا مشى ... به ربُّه للسوق ألفاه درهما[٥]

---

(١) حواشيه : نواحيه ، وتهذيبها : إصلاحها .

(٢) تمنّ : يخاطب عميد الدولة الانجليزية ، ويشير إلى ما كان يكتبه ذلك العميد فى تقريراته من صلاح حال مصر وفائها بفضل الانجليز .

(٣) يشير بهذا البيت إلى ما كان يردده عميد الدولة الانجليزية وغيره من ساسة الانجليز من تفضيل عهد احتلالهم على ماقبله من العهود ، ولاسيما عهد إسماعيل ، ممتنين على المصريين بأنهم قد أزالوا عنهم ما كان يحيق بهم من المظالم قبل احتلالهم من تسخير الناس وجلد ظهورهم .

(٤) جادها السماء : أى نزل عليها المطر .

(٥) هش إليه : ارتاح وبش . ويشير بهذا إلى غلاء الحاجات وارتفاع أثمانها ، حتى إن الدينار ينزل إلى قدر الدرهم فى الشراء .

فلاتحسبوا فى وفرة المـال ـ لم تفد متاعاً ولم تعصم من الفقر ـ مغنما
فإن كثير المـال والخفض وارفٌ قليل إذا حل الغـلاء وخَيَّما (١)

لاتأمن الأمم بعضها ظلم بعض إلا بالقوة

ولا تحفظ كل أمة وجودها إلا بفضل القوة

(من كتاب حقوق الشعب للأستاذ عبد الرحمن الرافعى بك)

الناس منذ خلق الله العالم لم يحافظوا على حقوقهم ، ولن يحافظوا عليها إلا بمقـدار مالديهم من شدة، و بأس وقوة ، وكذلك الأمم تتصارع وتتنازع فى معترك الحياة الباقية ، ولايسود فى تنازعها الأبدى مبدأ أيدته الحوادث قديماً وحديثاً مثلما يسود بينها مبدأ القوة ، فكم ديست للأمم حقوق لأن القوة تنقصها ، وكم انتهكت لها حرمات لضعفها وقلة حولها ، ولكم خدعت الأمم نفسها ، وأرادت أن تعيش ضعيفةً بين أمم قوية ، فـا راعت تلك الأمم فى معاملتها عهداً ، ولا أنجزت وعداً ، ولا احترمت لها حقًّا ، ولا سمعت منها قولاً ، بل كان نصيبها أن توطأ حريتها وحقوقها تحت الأقدام !

ما أظلم الناس فرداً ! وما أظلم الناس جماعات ودولاً ! فكما أنه لايمنع ظلم الإنسان عن أخيه الإنسان إلا القوة ، وأعنى بها قوة الحـكومة التى تضمن لكل فرد حقه ، كذلك لاتأمن الأمم بعضها ظلم بعض إلا بالقوة ، ولا تحفظ كل أمة وجودها إلا بفضل ما لديها من القوة .

هكذا العالم وتلك سنة الله فيه ؛ فما أتعس حظ تلك الأمم التى جهلت ذلك المبـدأ ونبذته ! لاتجد من ينصفها على من يظلمها حتى من أبنائها الذين هم أقرب الناس إليها ، يعيشون عبيداً للقوة ، وخداماً لهـا ، وهى تطالب بحقوقها ، فلا تجد من يجيب طلبها ، أو يصغى لندائها ، لأن القوة تنقصها .

المصرى فى ١٩٤٨/٩/١١

---

(١) الخفض : سعة العيش ورغده . والوارف : المتسع .
يقول : إن كثرة الأموال مع ارتفاع الأسعار وغلاء الحاجات لاتغنى شيئاً .

٢ — مظالم إيطاليا وفظائعها فى طرابلس الغرب

فى سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م)

نقلاً عن كتاب « المنظومة الشكرية » الجزء الثالث ص ٢٥٤

ومن التوحش ما جنت إيطاليا ... بطرابلس الغرب انظروا لفظاعته

قتلوا الرجال ونصروا الأطفال بل ... هتكوا النساء بظلمهم وقساوته

داسوا المصاحف بالنعال وجاهروا ... بعدائهم لنبينا ولأمتـــــه

ظنوا بذا نصر المسيح ودينه ... أن المسيح خصيمهم بقيامتـــه

فالناس طرًّا ينكرون صنيعهم ... والله يلعنهـم وكل خليقته

ويل لأهل الظلم حين جزائهم ... دنيا وأخرى ويلهـم من نقمته

وقد انتقم الله فعلاً من هذه الدولة الظالمة فى الحرب العالمية الثانية ، وسلخ من يدها الحبشة وطرابلس[1] الغرب أيضاً ، وأفل نجمها ، وضاع الكثير من رجالها وأولادها وأسطولها ، وأصبحت يضرب بها المثل ، فى الخزى والعار والفشل .

وهذا جزاء وانتقام من الواحد القهار ، لأهل طرابلس الغرب ، وذكرى وعبرة لغيرها .

هذا ، وقد أراد الله أن يتحول الحال ، بعد طول الصبر والانتظار ، وبعد العداء الذى كان مستحكماً بين الإيطاليين والطرابلسيين أن تطلب إيطاليا استقلال طرابلس ، فسبحان مقلب الأحوال ، وبلوغ طرابلس هذا الاستقلال على يد عدوتها الظالمة (إيطاليا) .

انظر المصرى الصادر فى ٢٦ يوليه سنة ١٩٤٩ الصفحة الثالثة بالخط الثلث :

(إيطاليا تطلب استقلال أريتريا بالحبشة وطرابلس)

---

(١) سقطت طرابلس فى أيدى البريطانيين فى يوم السبت ٢٣ يناير سنة ١٩٤٣

٣ — ظلم فرنسا لتونس ومراكش والجزائر

مضى أكثر من ربع قرن وفرنسا مستولية على تونس ومراكش والجزائر ، وظلت هذه الدول رابضة تحت أغلال الاستعمار الفرنسى ، وهى تستغيث وتتظلم ، ولا مغيث ولا مجيب ، إلى أن قيض الله لها أميراً باسلاً حازماً وهو (الأمير عبد الكريم) وشقيقه (محمد) الذى التجأ إلى مصر هو وشقيقه فى الصيف الماضى ، وهو مقيم الآن بقصر عظيم بشارع سعد زغلول ، يجتمع عنده من وقت إلى آخر زعماء الجهاد المغربى وغيرهم .

وقد نظم زعماء الجهاد المغربى فى القاهرة جهودهم هذه الأيام ، فأسسوا لجنة (تحرير المغرب العربى) مؤلفة من ممثليها لمختلف الأحزاب فى تونس ومراكش والجزائر ، تكتنفهم زعامة الأمير عبد الكريم الذى اختاروه رئيساً دائماً لهيئتهم ، كما اختاروا شقيقه وكيلاً دائماً لها كذلك .

وقد استند رئيس تلك اللجنة إلى ميثاق تجلت خلاله مبادئ الكفاح المغربى فى سبيل « الاستقلال التام ، والتعاون مع بلاد العروبة فى دائرة الجامعة العربية على قدم المساواة مع بقية الأقطار ، كما تجلت « عملية » الوسائل التى يلجأ إليها لتحقيق تلك المبادئ ، فلم تقف عند حد « السلبية » بل تجاوزته إلى « الإيجابية » حين سمحت « للأحزاب الأعضاء فى لجنة التحرير أن تدخل فى مخابرات مع ممثلى الحكومة الفرنسية والأسبانية ، وحين اشترطت على هذه الأحزاب أن تطلع اللجنة على سير مراحل المخابرات أولاً بأول » .

وفى هذا التوفيق بين مثل المبادى وطرائق العمل المنتج ، ما يسجل الإلمام بطبيعة تشعب المواقف ، ودقة المعالجة فيما يتصل بالشئون العامة ، والعلاقات الدولية ، وما يدعو إلى الاطمئنان ، وترقب الوصول إلى تحقيق الآمال ، وهو ما نرجوه لإخواننا المغاربة المخلصين .

(المصرى فى ١١ ، ١ ، ١٩٤٨)

٤ — ظلم هولندا لأندونيسيا

حدث فى أفق العالم الإسلامى محنة قاسية ، وهى تلك الحرب الشعواء التى شنتها (دولة هولندا) على إخواننا المسلمين (بأندونيسيا) ، وكأن تلك الدولة المعتدية قد أبت إلا أن يكون فى اعتدائها إيذاء لشعورنا قاطبةً ، فجاءت مهاجمتها للأندونيسيين فى شهر له حرمة وتقديس هو شهر رمضان (١٣٦٦) المعظم .

فقد كان الأمل قوياً عقب اتفاقية (لينجادجاتى) فى أن يستتب السلام فى تلك البلاد وأن ينعم هذا الشعب الباسل بحياة مستقرة ، ينصرف فى ظلالها إلى رفع مستوى حياته الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، ويتخلص من أغلال الاستعمار التى طالما رسف فيها ، ويتبوأ بين الأمم المحبة للسلام مكاناً يليق به ، وتؤهله له مساحة بلاده الواسعة ، التى تربو على مساحة هولندا ستة وخمسين مرة ، وعدد سكانها الذى يقدر بخمسة وسبعين مليون نسمة ، أى ثمانية أمثال سكان هولندا .

ولكن ذلك الأمل القوى قد تلاشى عند ماغدرت هولندا بأندونيسيا ، ونقضت تلك الاتفاقية ، مما يؤكد أن قبول الهولنديين لها إنما كان لضرورة اقتضاها ضعف مركزهم الحربى والسياسى .

على أن الشعب الأندونيسى لايقف وحده فى هذه المحنة القاسية ، فهاهو يحظى بعطف شعوب العالم كله ، ويتمتع برعاية الأمم الإسلامية خاصة .

وهاهى استراليا والهند تقدمان قضيته إلى مجلس الأمن ، وهذه هى الصحافة الحرة فى كافة أنحاء العالم تناصره وتعضده ، وتندى باللائمة على اعتـــداء هولندا ، وهؤلاء هم المسلمون يتميزون غيظاً من جراء هذا الاعتداء ، ويصبون جام غضبهم وسخطهم على مرتكبيه ، ولا غرو (فالمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً) .

وما كانت مصر (وهى قلب العالم الإسلامى ، ومناط رجائه) لتغفل عما يعانيه الشعب الأندونيسى الكريم ، فهبت على اختلاف هيئاتها وأحزابها ، تبدى عطفاً عليه ، وتظهر مشاركتها له فى محنته .

ولقد توّج ذلك كله لفتة المليك العظيم ، وعطفه السامى ، فوجه (حفظه الله) أنظار ممثلى بريطانيا وهولندا والولايات المتحدة بمصر ، إلى الموقف فى أندونيسيا ، معرباً عن رغبته الكريمة فى أن تنتهى هذه الحالة سريعاً بالوساطة العادلة ، وبما يرضى نفس جلالته ونفوس المسلمين قاطبةً .

وإنا نسأل الله الكريم ، أن يكشف عن إخواننا الأندونيسيين هذه الغمة ، وأن تسوّى مسألتهم عاجلاً ، بما يكفل الحرية لهذا الشعب الباسل ، ويحقق له ما يصبو إليه من أمن وسلام ورقىّ .

(أحمد حمزة)

العدد الثانى من مجلة لواء الإسلام
أول شوال سنة ١٣٦٦ — أغسطس سنة ١٩٤٧

جاء بجريدة المصرى الصادرة فى ٢٦ يوليه سنة ١٩٤٩ أن هناك مساعى تبذل لوقف حرب أندونيسيا

٥ — ظلم أمريكا لعرب فلسطين

(العرب والصهيونيون)

فلسطين هى إقليم من أقاليم سوريا ، يحدها شمالاً (فينسيا) وجنوباً (البحر الميت) ، وغرباً (البحر الأبيض المتوسط) ، وشرقاً (صحراء سوريا) ، ويرويها نهر (الأردن) التابع لشرق الأردن (وهى تعتبر جزءا من شرق الأردن) .

وهذا الإقليم يسمى أيضاً (أرض كنعان) وأسسه يعقوب بعد أن بنى سيدنا إبراهيم الخليل الكعبة ، وتعرف بالأرض المقدسة(أو بيت المقدس عند المسيحيين) ، وبها المسجد الأقصى الذى يحج إليه سنوياً عدد عظيم من المسلمين والمسيحيين ، وكانت قديماً ولاية عثمانية يحكمها والٍ مقره (بيت المقدس) ثم أصبحت مشمولة بالانتداب البريطانى ، تحت سلطة المندوب السامى البريطانى السير (هربرت صموبل) للآن ، وقد قررت الحكومة البريطانية الانسحاب منها فى مايو سنة ١٩٤٨

هذه هى فلسطين التى قام الصهيونيون (وهم قوم من اليهود المتعصبين[1]) المقيمين فى بلدة (صهيون) وهى أحد تلال (أورشليم) ، وكثيراً مايعبر عنها أورشليم نفسها ويقدسونها ، لمناوأة العرب وإرهابهم ، وغصب حقوقهم ، ونزع أراضيهم ، وموارد أرزاقهم ، وسلب أوطانهم لتأسيس (وطن قومىّ لهم) فيها ، وقد قام العرب من ناحيتهم عن بكرة أبيهم ، وقام معهم جميع رؤساء الدول العربية (الجامعة العربية) فى سوريا ولبنان ودمشق وشرق الأردن والمملكة السعودية (الحجاز) والعراق واليمن و إيران ومصر أيضاً لنجدتهم ، وأخذوا يناضلون ويدافعون عن قضيتها أمام جمعية الأمم المتحدة التى اجتمعت فى ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٧ بالحجج التاريخية والبراهين القانونية بأنها (ملك

---

(١) الصهيونية أصلها فكرة ترمى إلى إنشاء دولة عنصرية يهودية ، والعنصرية تدل على التعصب لشعب ما ، أولفئة منه مع ماقد يقترن به هذا التعصب فى معظم الأحوال من نعرة وصلف وادعاء التفوق على من لاينتسب إلى ذلك الشعب أو إلى تلك الفئة — هذه العنصرية أصبحت سبباً مباشراً لأشد ما ابتليت به الإنسانية من ظلم ، ولأشد ماعانته من فتن وحروب دامية نشبت للتخلص من ربقته .

(كتاب الصهيونية لمؤلفه م . كيفورى)

للعرب) وأن اليهود لا يشغلون إلا جزءاً قليلاً منها ، وهم أقلية بالنسبة للعرب ؛ ولكن مع الأسف الشديد لم تنل فلسطين إلا أصواتاً قليلة ، واجتمع للصهيونيين ٣٣ دولة مسيحية بطريق الضغط الأمريكانى ، والإغراء والرشوة ، وقررت هيئة الأمم هذا القرار الظالم وهو « تقسيم فلسطين » إلى قسمين : قسم لليهود ، وقسم للفلسطينيين ، ولم توافق عليه عموم الدول العربية وغيرها .

فعاد رؤساء الحكومات العربية ، وكلهم غاضبون ساخطون على هيئة الأمم ، مستنكرون لقرارها الفظيع ، وقامت مصر محتجةً ومستنكرةً لهذا القرار ، وقامت مظاهرات كثيرة ، أهمها المظاهرة القومية العظيمة ، التى قامت من الجامع الأزهر فى يوم الأحد ١٣ ديسمبر سنة ١٩٤٧ ، ومرت بفندق (الكونتننتال) النازل فيه رؤساء الأمم العربية ، وهناك ألقيت خطب من أعلى الفندق للأمير فيصل وغيره .

وأنشد فيها النشيد الفلسطينى الذى نقتبس منه :

فلسطين هبى ولا تجمدى ... وبالسيف والنار هيا احصدى
أتتك الجحافل فى الموعد ... تصب الهلاك على المعتدى
إذا لم تثب للرشاد العدا ... جعلنا المنايا لهم موردا

* * *

دوىّ المدافع أحلى نشيد ... صوت البنادق لحن فريد
فهيا اسحق العدو العنيـ ... ـد فنى مصرع البغى للحق عيد

وفى يوم الثلاثاء ١٧ ديسمبر سنة ١٩٤٧ عقدوا اجتماعاً بوزارة الخارجية استغرق أربع ساعات متوالية ، من الساعة ٦ إلى الساعة ١٠ ، وعلى أثر انتهاء الاجتماع قابل سعادة (عبد الرحمن عزام باشا) الأمين العام لجامعة الدول العربية الصحفيين ، وأعلنهم بانتهاء الاجتماع ، وأذاع عليهم البيان الآتى ، الذى أصدره المجتمعون ، ونشر فى عموم الجرائد فى يوم الأربعاء ١٨ ديسمبر سنة ١٩٤٧ :

بيان رؤساء الوفود

منذ تلاقت أغراض الاستعمار ، وأطماع الصهيونية ، على إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وعرب هذه البلاد فى محنة تفرض القوة عليهم جماعات أجنبية عنهم تأتيهم

من الغرب ومن الشرق بلغاتها وعاداتها ، ومذاهبها الاجتماعية ، ولا تلبث هذه الجماعات أن تنتزع من العرب بشتى الوسائل أراضيهم وموارد رزقهم ، وهى اليوم تسلبهم أوطانهم ، وقد مدت الدولة المنتدبة (انجلترا) هؤلاء الدخلاء بالمعونة ، فمكنتهم من إنشاء جيش مدرب ومسلح ، انقلب فى السنين الأخيرة إلى أداة إرهاب ، وأداة شر على البلاد جميعاً ، بما عاثوا فيها من فساد ، وقد بصرت حكومات الدول العربية الدولة المنتدبة وغيرها من الدول فى مناسبات كثيرة بطرائق شتى ، وفى مؤتمرات متعددة بسوء المنقلب فى فلسطين ، وكاشفتها بالعاقبة الوخيمة لعملها وعمل الصهيونيين ، وما يؤدى إليه من حروب وفتن بين المسلمين والمسيحيين من ناحية ، واليهود من ناحية أخرى تعم الشرق بأسره ، وقد تمتد أحقاباً طويلة .

ولما تفاقمت الحالة فى فلسطين ، وعجزت الدولة المنتدبة عن حفظ الأمن والنظام ، عرضت أمر الانتداب على هيئة الأمم المتحدة ، فأدت وفود الدول العربية فى دورتى الجمعية العامة واجبها كاملاً ، وأظهرت حق العرب و بغى الصهيونية ، وأنذرت بالعواقب الوخيمة إذا ماتجاهلت الجمعية مبادئ الحق والديموقراطية ؛ ولكن لشديد الأسف تنكرت الجمعية لذات المبادئ الذى تضمنها ميثاقها ، فأوصت (بتقسيم فلسطين و إقامة دولة يهودية فيها) وهى بذلك قد أهدرت حق كل شعب فى اختيار مصيره وتقريره ، وأخلت بمبادئ الحق والعدالة جميعاً ، وهى بعد قد رسمت للتقسيم حدوداً تجعله غير قابل للتنفيذ عملاً ، وتجعله أبداً مصدر الاضطراب والفتنة ، فأدخلت فيما أسمته (بالدولة اليهودية) أجود أراضى العرب وأوسعها رقعةً ، وأكبر موارد الثروة الاقتصادية فى البلاد وأخطرها شأنا ، ووضعت نصف مليون من العرب مسيحيين ومسلمين تحت نير الصهيونيين وسيف إرهابهم ، وهم أنفسهم لايتجاوزون عدد العرب الذين يراد وضعهم تحت سلطان الصهيونية الدخيلة ، وذلك بعد أن نزعت الدولة المنتدبة من العرب سلاحهم ، ومكنت الصهيونيين من رقابهم .

ولقد استفز هذا الوضع الظالم الشرق بأسره ، بل أكثرية سكان العالم أجمع ، فهبت الشعوب العربية والإسلامية جميعاً مندفعة لإزهاق الباطل و إحقاق الحق ، و إنقاذ عرب فلسطين المستضعفين فى أرضهم وديار آبائهم وأجدادهم .

وحكومات دول الجامعة العربية تقف صفًّا واحداً فى جانب شعوبها فى نضالها لدفع الظلم عن إخوانهم العرب ، وتمكينهم من الدفاع عن أنفسهم ، ولتحقيق استقلال فلسطين ووحدتها .

وقد قرر رؤساء وممثلو هذه الحكومات فى اجتماعهم بالقاهرة (أن التقسيم باطل من أساسه ، وقرروا كذلك عملاً بإرادة شعوبهم أن يتخذوا من التدابير الحاسمة ماهو كفيل بعون الله بإحباط مشروع التقسيم الظالم ، ونصرة حق العرب ، ومجابهة كل احتمال من الاحتمالات) .

وسيرى العالم استحالة أخذ العرب بالعنف ، و إخضاعهم للقوة أيًّا كان مصدرها ، وسيرى العالم أن العرب حين دعوا إلى التمسك بقواعد الحق والعدل ، وحين أنذروا بعواقب المغامرة الصهيونية إنما كانوا طلاب حق وعدل بين الناس جميعاً ، راغبين فى استبعاد أسباب الفتن والاضطراب من الشرق الأوسط ، حريصين على إقرار السلام فى ربوعه .

وسيرى العالم كذلك أن الذين عملوا على تقسيم فلسطين دون تدبر العواقب يتحملون وحدهم مسئولية الفتن والاضطرابات التى أثاروها والتى لايعلم مداها .

أما وقد تغلبت الشهوات والأغراض حتى فى ساحة الأمم المتحدة ، وأغلقت أبواب الحق والعدل فى وجوه العرب ، فإنهم قد وطدوا العزم على خوض المعركة التى حملوا عليها وعلى السير بها حتى نهايتها الظافرة بإذن الله ، فتستقر مبادئ الأمم المتحدة فى نصابها السليم وتسود فى الأرض المقدسة مبادئ العدالة والمساواة بين الناس أجمعين .

وعلى أثر إذاعة هذا البيان انهالت التبرعات والتطوعات من عموم العالم الإسلامى ، حتى من يهود مصر وأمريكا لإنقاذ فلسطين من محنتها ؛ وقامت معارك دموية بين عصابات العرب واليهود ، وسيتبعها حرب طاحنة بين الجيوش النظامية .

وقد أنشد الدكتور إبراهيم ناجى بمناسبة هذه الثورة الصادقة نشيداً نشر بمجلة الاثنين فى ٢٢ ، ١٢ ، ١٩٤٧ .

السيف يحسمها

إن أنت لم تنصف فالله منتصف ... دار النبيين دار ليس تنتصف[1]

دار النبيين أقداس موحدة ... سلوا بها الدهر فالتاريخ يعترف

سلوا السيوف التى سالت لتنقذها ... ومن دماء العدا والظلم تغترف

إذا اليهود أرادوا بيننا وطناً ... فتلك أضحوكة فوق الذى تصف

أضحوكة غير أن السيف يحسمها ... إن الدماء على حوض الفدا شرف

فنسألك اللّهم أن تمد العرب بمعونتك ، وأن تنصرهم على أعدائهم الصهيونيين وغيرهم نصراً مبيناً ، وتمكنهم من رقابهم تمكيناً ، تحقيقاً لقولك : (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

هذا وقد تطورت الحالة فى فلسطين بعد أن أعلنت هيئة الأمم المتحدة واعترفت (بدولة إسرائيل) ، ولا يزال الخلاف والقتال مستمرًّا بين العرب واليهود خصوصاً بشأن بيت المقدس بقصد الاستيلاء عليها . نسأل الله تعالى أن يوفق العرب للحصول على أراضيهم المغصوبة ، ورجوع اللاجئين إلى ديارهم ، وأن ينصرهم على أعدائهم ، فنعم المولى ونعم النصير

بمناسبة قضية فلسطين طلبت الحكومة من وعاظ المساجد أن يلقوا خطباً حماسية فى الحث على الجهاد فى صلاة الجمعة ، وهذه الخطبة القيمة ألقاها فضيلة الأستاذ الشيخ حمزة حسن الصالحى بمسجد فؤاد الأول فى يوم الجمعة ١٩ ديسمبر سنة ١٩٤٧ ، الموافق ٥ صفر سنة ١٣٦٧ ، وكان لها تأثير عظيم فى نفوس المستمعين . وهذا نصها :

---

(١) أى لاتقسم .

الخاتمة

خطبة من حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

فى الجهاد

الحمد لله شديد البطش بالظالمين ، القائل فى كتابه : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ، وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ) . وأشهد أن لاإله إلا الله الذى أمر عباده المؤمنين بالدفاع عن وطنهم ودينهم فقال : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلهِ . فَإِنِ انْتَهَوْا فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ) . وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله الذى أرسل لأهل الأرض والسموات ، بشيرًا ونذيرًا ، صابرًا على الشدائد والمحن ، كما قال له ربه :

(فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ) اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا فى سبيل الله ، ونصروا دينه ، فنصرهم الله كما قال : (إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) .

أما بعد ، عباد الله : من تعاليم الإسلام و إرشاداته ، أن لانعتدى إلا على من يعتدى علينا ، ولا نقاتل إلا من قاتلنا ، كما قال سبحانه : (مَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) ، فإن رجع هؤلاء إلى رشدهم ، وأفاقوا من غيّهم ، واستيقظوا من جهالتهم ، ومدوا إلينا يد التصافح والتسامح ، رجعنا إليهم بالعفو عما ارتكبوه من الغدر والعدوان ، فقد قال سبحانه : (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ) و إن استمروا فى الضلال والطغيان ، أصليناهم ناراً ، ليحق الله الحق ، و يبطل الباطل ، والنفس بطبيعتها تميل إلى الراحة ، وتخلد إلى السكون ، ولا تحب الجهاد فى سبيل الله ، وتكره القتال الذى فيه العزة للاسلام والمسلمين ، و إعلاء كلمة الله وكلمة الدين .

قال تعالى : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ . وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ . وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ . وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ) .

وقد حرّض الله المؤمنين على الإقدام فى قتال الأعداء مع الثبات فى مواضع القتال

فقال سبحانه : (فَلْيُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ . وَمَنْ يُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً) .

وقال تعالى : (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ، وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) .

وإن التاريخ دائماً يذكّرنا بما حدث ، ويبين أن الطيش عاقبته سيئة ، خصوصاً إذا كان من رؤوس الرؤساء ، فإنه يجلب الشر ، ويهدم قصوراً شامخة ، وبيوتاً عالية ، وهذا ماحصل لبعض اليهود الذين كانوا يجاورون المدينة المنورة ، فقد كان بينهم وبين المسلمين عهود ، بها يأمن كل واحد منهم الآخر ، ولكن اليهود لم يوفوا بهذه العهود ، ونقضوها خيانة منهم وحسداً ، ونبذوا ماعاهدوا المسلمين عليه ، وأظهروا مكنون ضمائرهم ، فبدت البغضاء من أفواههم ، فأخبر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بأن العهد الذى كان بينه وبين اليهود قد انقصمت عراه ، وانفرط حبله بسبب ما انطوت عليه نفوسهم ، من العداوة والبغضاء للمسلمين ، ونزل فى ذلك قول الله تعالى : (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤساء اليهود وحذرهم عاقبة البغى ونكث العهود ، فافتخروا بقوتهم وشجاعتهم ومقدرتهم على الغلبة فى الحروب ، فبين الله لنبيه أن الهزيمة نازلة باليهود ، فقال جلّ شأنه :

(قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ . قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِى فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِى سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْىَ الْعَيْنِ ، وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ . إِنَّ فِى ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِى الأَبْصَارِ) .

وعندئذ تبرأ المسلمون من محالفتهم مع اليهود ، ونزل قول الله تعالى : (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ . إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . فَتَرَى الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِىَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِى أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ) .

وقد اغتر اليهود بما وعدهم به المنافقون من مساعدتهم والدفاع عنهم ، وتحصنوا بحصونهم بعد أن تبين لهم كذب المنافقين ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما رأوا عجزهم عن مقاومة المسلمين أدركهم الرعب ، وطلبوا من النبي أن يخلي سبيلهم على أن يخرجوا من المدينة ولهم النساء والأولاد ، وللمسلمين الأموال ، فقبل ذلك عليه الصلاة والسلام ، ولم يحل عليهم الحول بعد خروجهم حتى هلكوا جميعاً (وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ، وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا) .

(الحديث) : روى مسلم عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم : « بعثه ومعاذًا إلى اليمن فقال : يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا ، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا ، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا » .

ونختتم هذا الكتاب بهذا الدعاء الذى ألقاه فضيلته على المصلين عقب الخطبة :

« اللهم اشغل الظالمين بالظالمين ، وأخرجنا من بينهم سالمين ، واجعل كيدهم فى نحورهم ونجنا من شرورهم يارب العالمين » آمين .

والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين فى المبدإ والختام .

انتهيت ولله الحمد من مراجعته فى يوم الإثنين ١٥ رجب سنة ١٣٦٧ ، الموافق ٢٤ مايو سنة ١٩٤٨

على فكرى

بحمد الله وحسن توفيقه قد تم طبع كتاب

[البيان الفاصل بين الحق والباطل]

مصححا بمعرفة لجنة من العلماء برياسة : أحمد سعد على

القاهرة فى { ١٣ شوال سنة ١٣٦٨ هـ / ٨ أغسطس سنة ١٩٤٩ م

ملاحظ المطبعة
محمد أمين عمران

مدير المطبعة
رستم مصطفى الحلبي